كخريف يحلم بأشجار خضراء

!

2023-9-5

-رسائل

/إهداء

(دَعه فارغ)

مقدمة

لم أعد استمعُ إلى أغَانيك المُفضلة

لم أعد أستيقظُ في الثالثة ليلا لتفقدِ رسائلك ؛ لم تعد تسكنني تلكَ الرجفةُ عند الحديثِ عنك ،
لم تَعد كما كنت
لم أعد كما كُنت
كلٌ ذهبَ في طريقٍ مُعاكس
وآمل أن تكَون الأرض مُسطحة
لكيلا نلتقي مَرة أُخرى في الجانب الآخر..

لو كنتُ في مدينة تجعلني أُحلق بأحلامي
لو كان من حولي يصعدون بي إلى القمة
ولا يقولون عن أحلامي استحالات
لو كان ما بينَ يداي حريةٌ أخرج بها
ولا تقيدني التقاليد والمعتقدات
لو كانت أغصاني خضراء وابتسامتي غضةُ
لو كان كلُ ما نطمح إليه
حقيقة
لو كانت الأحلام تسمى في مجتمعنا أحلاماً
"لا "هُراء

..

يحملني بالأحلام فوقَ السماء
ثمَ يهبطُ بي عميقاً عميقاً
..بخيالٍ بخيال

عزيزي:
وعدتك الأمسُ ووعدك حديقة منزلي ، أنني سأجعلك تحبني ، كتبتُ عنك آلاف الأشياء ، كتبتُ بالشمس وبالأنين ، كتبتُ من خزائن الروح ومن أركان الزهور!
من جاء بك إلى هنا ؟
من رماك في سبيلي ؟

من أسرى الدماء في جذوري ، من أنت الذي يقتلني ومن ثم يبعثني بنظرة من عينيه..
مشكلتي أنني لست أدري حدّ لحبي ولا لأشعاري ، لستُ أدري متى أنهي ومتى أغلقُ أجفاني ، لا أعلم تاريخي ولا حتى ميلادي ، فكيفَ لي أن أعلم حدوداً لأفكاري ؟ ؟ ؟

أضعتُ كتاباتي في عينيك ، وشموعي بينَ ذراعيك ، أضعتُ أرقامي في خصلات شعرك ، وتهتُ بينَ شفتيك..
لكنني غبية ، طيبةٌ وبسيطة ، عقلي كعقل طفل فارق أحبابه ، مع كل هذا أبحثُ عن شيءٍ يجعلني أبقى يجعلني أرقد بين رئتيك ، أبحثُ عني

في عمقك في بحرٍ داخلك ،
لا أجدني ولا أجد أي شيء يتعلقُ بي..
ألفُّ نفسي بأكفان كرهك ، وأخبو على رصيف حبي ، أدفنُ نفسي في فمك وأستشعر بدفء حديثك بدفء روحك وبدفئك أنت ، في كل شطرٍ أحشر به قطرةً من دموعي ،

قطرةً من روحي ومن أضغاني ، ثم أغرق في عينيك وإن عينيك هما بحيرتان من القهوة من الحبّ ، يا واسع العينين ، يا صانعَ الهوى في أكوامِي في أطرافي وفي أحشائي..

كيفَ أنت في داخلي ؟ أأعجبكَ أم أنه قبيح ، أم أنه مشوشٌ وأسود ، هنا صلاة الأحزان والحروف التي أسرت قبل أن تخرج ، هنا الكلمات المخطئة ، وأنت يا سيدي نقيةٌ كاللؤلؤة ، فلا يناسبك هذا الركنِ الموحش..

لم تسمعني يا سيدي ، أنت فارغ من أشيائي ، لم أجد نفسي بينك ، بحثتُ عن شفاهي عن أحلامي وعن قصائدي.
لم أجد يا صانع البؤس ، يا ميتَ الإحساس..

سيدي أمطاري السوداء لا تتركك أعلم هذا ، بل يا مطفأ العيون ، مطفأ الأمسيات..
سيدي لا تدعني هذا ما أودّه..

****

أضناني الركضُ فاسلبني من أعماقِ خريفٍ من صدرِ الكلمات
احبسني فيك سنيناً ، فالحبسُ بكَ حريةٌ من روحِ الأمنيات
احبسني لكيلا تفور مني شظايا الأشواق
لكيلا أكون مع السراب مع غيهب الأعماق
أضناني الغياب فأتني بك وعلى الأرض افرش لي حنانك المُعتاد
لا للغياب لا للرحيل

فحضوركَ مثيرٌ وجميل
احبسني في أمواج البحر
في كفكَ الأسيل

لا تكن رمحاً بصدر أوراقي
لا تكن سيفاً يحشرُ أفعالي
احبسني في ليلةٍ يطاردُ الحبُّ فيها وجهي
يطرقُ على أبواب الغرفات

يسلكُ مئات الطرقات

ويلملم من الشارعِ أجزائي
احبسني... احبسني
ونل مني..
علمني كيفية حبك..

علمني كيفَ أرسم على السماءِ وجهك
علمني أن الدمعَ هو النسيان
علمني كل شيءٍ يعلمُ به الإنسان
****

كُلُ الأماكنِ في بُعده باردة
ولا قيمة للمدافئ!
****

كنتُ أنتظركَ على باب منزلك
لا أعلم كيف وصلتُ إلى بيت الأحلام
كان الوقتُ ينتقم مني
وكانت الأحداث تلعب لعبة الاختباء!

****

انطق اسمي بين شفاهك
دعه يتمتع بكلامك
اقترب مني
اقترب أكثر..
نم على صدري
وعانق أطرافي
دعني أحكي لك حكاية
"عندما كنا حقولاً
حقول حبٍّ وآمالاً
عندما كنا سوياً
أنا وأنت
نرقص في شوارع المدينة كالمجانين
ونتمايل من خلف ثقب الباب
أمسك بك
تمسك بي
نمشي قرب النهار
بجانب الليل
نسهر مع النجوم

ونحاور الغيوم..
ثم تسجن
تثبت عليك تهمة السرقة
سرقة القلوب
داخل قفصي الصدري
داخل ترائبي تُؤسر
كيف أراك مجدداً ؟
كيف أرقص معك
وأشدكّ إليّ كعناق المشتاق
كيف سيقتلني الغياب
ورحيلك إلى داخلي
حبيبي!
استمع لما أقوله
علّك تفهم شيء
شيء فقط

أحبك
أحبك بحجم قباحة هذا الكون
وبحجم المشردين على حدود الوطن

بحجم حبِّ أم ناحت على فقيدها
بحجم كل الأشياء من حولنا
بحجم الشمس أو القمر أو الاثنان معاً
بحجم المجرات
مع السماوات السبع
مع الجنان العليا
والنار المخلدة
بقدر رحمة الله
وبقدر لطف الأنبياء..
خارج الكون
نكون أنا وأنت
خارج التاريخ والأعوام والأيام
حرقنا خلفنا جميع الكواكب
جميع الناس..
لنبقى سوياً
أنا
وأنت
خارج حدود العالم
دون جواز سفر

أو حتى وسيلة نقل
بل نطير بأجنحتنا البيضاء

نطير ونغرق.. ثم نغرق
نهبطُ سوياً
عميقاً.. عميقاً
ولا نجد أرضً تحتوينا

****

أنت الآن في الجهة المقابلة من الحياة ، ولم أبرح التفكير بك ، كنت دوماً كل شيء في ذهني ، مع أنّ المسافات تقتلُ أجزاء الحبِّ بيننا إلا أنك هنا ترقد بداخلي ، وهالاتُ الشوقِ قد خبت تحت عيني ، اشتقت لك بحجم كل المحيطات في عالمنا.

... نحن في أيلول عزيزي ، الجو جميل عندنا ، لكنه حارٌ في الوقت ذاته ، حسناً عزيزي أريدك أنت تصحو على حبي الهائل لك ،

لا أريد أن ترحل ، فرحيلك يجعلني أدفن داخل أقفاصِ البؤس ، فرحيلك يقلتني وينتقم من كياني ، رحيلك يجعلُ كل الفصول بردٌ وشتاء ، يسلب مني دفئي ويبقيني أتجمد بين فتات الثلج ، يجعلني أسقط بين الأودية المظلمة حيث الوحوش والأخيلة المخيفة ، رحيلك يؤلمني ، يؤلمني للحد الذي لا يخطر على بالك المنشغل دائماً بأشياءٍ لا أدري ما هي!

عزيزي ، أرجوك لا تتركني ، فغيابك يقتل جميع السعادات التي صنعتها لي وإلى الآن لا أعلم كيفية عملها!
عزيزي
أريد أن أخبرك شيء ، شيءٌ كبير أخبئه بين أمعائي ، البارحة رأيتُ صورتك على شاشة الهاتف ، قبّلتا كثيراً ، شاهدتها لمئات المرات ، وددتُ أن تخرج منها ، أضمرتها في بحر الحنين ، وأمشيت معها أسراب الغرام!

كانت صورتك هي الشيء الوحيد الذي أهربُ إليه كلما داقت على صدري الحياة ، كانت **كشيء بالون الأحمر داخل فيلم في الستينيات** ، كانت النجاة من الغرق ، والغرق فيها كان النجاة ،

رنوت عليها كثيراً حتى إني لم أضجر بل بقيت معها على مدار الساعات الأخيرة من الليل.

كانت كمنزلٍ في وسط غابة موحشة ، أو ككأس ماءٍ في وسط صحراءٍ شاسعة ، شعرتُ أنها من يجعلني أعيش بعد أن كنت أتنفس من ثقب إبرة ، شعرت أنها خلقت لتجعلني سعيدة ، لتجعل خصلة السعادة تتدلى في وسط حربٍ طاغية بالدموع ، أمسكت بها آلاف المرات وقبّلتها وعانقتها مئات المرات ، كانت تشعرني أنني حقاً إنسان ، إنساناً يأكل ويشرب وينام ، بعد أن كنت طيفاً يلهو في مقابر الأموات.

عزيزي ، أشعر في قربك بالحياة ، أشعر وكأن الكواكب أصبحت هنا داخلي ، كل الأشياء المخيفة اختفت من منزلي ، حتى الجدران لم تعد تحادثني والأبواب لم تعد تنقدني ، وأقلامي كفّت عن اللهو بأصابعي ، حتى السقف لم يعد يبكي معي ، لأنني حتماً لم أبكي منذ عرفتك.

كان كل شيء في غرفتي يهنئني ، تصافحني أوراق الحائط ، وتقبّلني الخزائن ، كان كل شيء سعيد من حولي..

جلست في المنتصف أحكي للجدران طريقة كلامك ، وللنوافذ شكل عينيك ، وكانت الأرض تحثني لأحكي لها ما جرى بيننا.

حتى ملابسي قد ابتسمت في وجهي بعد أن كانت تأبى النظر إلي ، بعد أن كانت سوداء مظلمة ، كنت لا أطل على المدينة إلا باللون الأسود حتى خرج اللقب عليّ " السوداوية" ، الآن أستطيع أن أخرج بالأبيض والبنفسجي ، أستطيعُ أن أطلَّ بالألوان قوس المطر ، شعرت للحظة أن المكان ارتفع بي ، شعرت للحظة أني غيمة ترقد على أرصفة الشوارع..
وتنام على رؤوس الأشجار..
عزيزي
-كلُ شيء جميل في قربك
كل شيء يبدو أفضل ، رحل الدمار ، واختفت أشلاء الفناء ، لم أجد أقراص أغانيّ الحزينة ، بل وجدت قصائد غزلٍ وحب ترقص بينَ كفيّ ، عزيزي ، **كنتَ كقبّلة أولى على رقبةِ عذراء**، أو كطفلٍ لأمٍ عقيم، **كنتُ أحسّك في ليالي الظلمة شمسٌ في ضلوعي** ، كأنغام الصدى في محيطٍ هادئ ، كخيوط الفجرِ على مريضٍ لم ينم طوال ليلته ، كل تفكير العالم يؤلمني إلا التفكير بك يخلق لي أجنحةٍ بيضاء لأحلق بها عالياً.. عالياً..

قد تمنيتُ في لحظاتي الأخيرة لو أني لم أراك لو لم يكن لي قلبٌ يحبك ويستشعر بك..
لكنني لا أتمنى ذلك يا عزيزي ، أتمنى أن أدفن بعشقك وأُشيّع في عينيك..

عينيك نسيت أن أكتب عنهما:
هما الشيء الوحيد الذي كلما أنظر إليه أشعر وكأن روحاً سحرية دبّت في أركان الغرفة ، روحٌ نقية تحمل معها مئات اللغات ، تطير بجسد فراشة ، أو كمهرٍ طائر ، تقيدُ قلبي الصغير بسلاسلٍ لا تُفك ولا تدمر ، تبحر بي عبر فضاء الأحلام وتجعل مني مرساةً تحت أمواج الحنين ، تُشرعُ أطرافَ رغباتي ، وترسي بي على شواطئ الهيام..

عزيزي
يا نسمات الفجر ، أو يا قهوة الصباح ، يا عناقَ الأحبّة ، أو يا روحَ الأموات..
حبيبي ، كل لغات الكون لا تكفي للبوح!
****

اليوم ، أو البارحة ، أو حتى قبل ألف عام
حطّمتَ أجزائي المتبقية ، كسرتَ أضلعي ، ورميتَ عليّ كلامك الجارح ، قدركَ هذا هو أن تجعلني رماداً ، قدرك المعطر بقساوة فؤادك ، تلاشت الأفراح ، بيتُ عزاءً لكلماتي ، جلستُ في موطن الأسى ، تأملتُ حروفك الطاغية ،

كم كانت جارحة للحد الذي يجعلك تقتل وأنت جالس مكانك ، جلبت لي قناديل اليأس من رفِّ الخراب ، تلسعني كل حينٍ وآخر ، **يا جرحَ أيلول الذي كنت أظنه شفاء** ، كنت أظنه أنه من جعلني بناءً سرعان ما أتى كزلزال دمّرني تدميراً ، يا كل جروحي وندوبي ، يا كل غصةٍ بلعتها وأنا أبكي بصمت قاتل ، يا كل دمعةٍ أخفيتها وتظاهرت بالخير ، وأين الخير وأنت قتلتني ؟ جعلتني رماداً لا أصلح لشيء ، وأين الخير وأنت هجرتني في ليلة عاتمة صاخبة بالذكريات..

انقلب كل شيءٍ ضدي شيعتني كل الأشياء ، وحملني الذنبُ إلى أتراكِ الأحزان ، كنت مع أشباح الليل أناديك ، أنادي من كان بين يديّ حلماً ، كلُ الآهات رقدت في حنجرتي ، وكلُ من على الأرض سمعها ، صرختُ بأعلى صوتي ، حتى وصلت حبالي

الصوتية إلى عنان السماء ، لثمتِ الجنة ، وراحت تهرول إلى النار..

كم من صرخة ناديت بها حروف اسمك ، وكم من بحةٍ ذهبت سدى ، تجمعتِ الأرواح عليّ كنت أصرخ بهم ليجعلوني أهدئ قليلاً ، أتى طيفكَ الوفي ، أمسكت به أطرقه بالجدران..

افتقدك بكل التواريخ!

أنا ما عدتُ بأيامك شيئاً ، ما الذي غيرك ، ما الذي أجبرك ، ما الذي حررك من قصصنا القديمة ، من غبار الأحلام ، بعدَ أن كانت مثل مئات الغيوم على مرفئ الأوهام..

أمسينا كميتين يتلقيان رسائلاً من عالم الأحياء ، أنا ما عدتُ بتاريخك ، ما عدتُ شيئاً مهماً معك ، بل أصبحت كنصف

سيجارة على طرفِ المرآة ، ما الذي حثكَ لترحل ، ما الذي قطع خيوطَ الودّ ؟

ما الذي جعلني أرتمي على مسالخ الشوق ، وعلى الليل.. على حِبر الأحزان.. على سيوفَ البؤس ؟

بعد أن كان قدري مرةً يرسو على أجفانك ، ومرةً بأظفارِ أقلامك.. ما الذي طردك ؟

ما الذي عاد بكَ إلي ماضيك التعيس ؟

والمسافات زادها بكاءً..

عزيزي

مزق كياني ، ارسم بالماء عليه ، اخلع عيني ، وخلصني من خطيئة حبك ، إنني أكتب وأنت تحرق إنني أحب وأنت تكره ، إنني كل شيء سيء وأنت كل الأشياء الجميلة ، ارميها ارمِ كل تلك الرسائل في القمامة ، فما نفع القراءة فما نفع شخص يكتب والآخر يرمي ، لكن احذر أن تتعثر ببعض الكلمات ، أو أن تدفن في قبرٍ مفتوح بين تلكَ الأوراق ، فأنا كلي لا أعلم ما الذي يوجد في كتبي ، لا ترسم الحرف كما يمشي ثملٌ في سبات ، كن من الغافلين ولا تدقق في كلماتي التي تُملء بالغباء ، بل أتلفها كلها ، ولا تجعلها جزءً من الحياة ، وإياك أن تخطئ وتقرأ يوماً

نصوصي ، فإذا قرأتها ستأتي إليّ بالعناء ، لن تفهم ما أقصده فأنا أكتب كالمجانين بدون أوراق ،

***

يحرقني الغياب..
تكوني الأحلام كيّاً
أشرعُ أشعاري للنوافذ
أكنُّ داخل الأبواب
قل لي بحق كل شيء قبيح
أأنت هنا ؟
قل لي بحق ساعاتنا القليلة التي قضيناها معاً
بحق كل غصة كسرتني وكل دمعةٍ أغرقتني
أشعر في الغياب كسيجارة متلفة ، أو كنيزكٍ خامد ، لا أريد
رحيلك ، ففيابك يجعل كل الأشياء من حولي تختفي ، يجعل
الحب يموت على عتبات الفناء ، يشنقُ كالجرمين.
إن كنت هنا خلصني من هذه الخطيئة
من خطيئة حبك..
من ذنبي الذي أحملهُ على أجنحتي المكسورة..
خلصني من شعوذة التفكير

ومن أغراب الأوهام
اقتلني!
اشنقني بخاتم خطوبتنا
احملني ودافني في كفيك..
في لون عينيك..
أو بين مفترق أصابعك
اجلس مع موتي
تحادثا عن سنيني البريئة
لن تنتهي قصتنا
لن تنتهي قهوتنا
فلتعد للجلوس
ما الذي جعلك تنهض
ما الذي جعلك تقتل موتي
لترتكب جريمةً أُخرى
خيبة أُخرى
حياة أُخرى
بعد أن ناح عليك
وأجهش بالحب إليك
بعد أن فعل ما لم يفعله موتٌ لموتٍ آخر

كفاك كذب ونفاق ، أي كفاك من الحشر بداخلي
فالتاريخُ أكذب منك
ولقد صدق
صدق هذه المرة
فما شأن كل هذا العناق ؟
كفى
كفى هجراً
كفى حروفاً لا تنفع
إن كنت هنا فقل لي
ليتقلص الضياء
لأندب السعادة
كفَّ عن تمزيق قصائدي وتحطيم آلاتي
كفاني هراء وكتابة شيء لا يطاق

****

كنتَ دائماً الغرق قبل النجاة ، كنتَ تجرحني قبل مداواتي ، ظننتك من سينقذني ويفكّ أسري ، لكنّكَ حولتَ حروفكَ إلى سجنٍ أحكم به مؤبداً ، كنتُ دائماً أعتاد على الردود الباردة

منك وكأنني شبحٌ خيالي ، لم نتفق يوماً على شيء ، كنتَ دائماً في الاتجاه المعاكس للتيار..

وجدتك تبعثُ لي قلباً أسود ، القلب الأسود الذي أكرهه وأشعر أنه للكره بدلاً عن الحبّ ، وأنت تعلم كل هذا ومع هذا وجدتك تلقي به عليّ..
أود أن أقول لك أنني حينها لم أخرج مع صديقاتي ، ولا مع عائلتي بقيت لوحدي في المنزل ، أقول بكل حسرة تملء عيوني أقول بشفاهٍ مبللة ، أتسائلُ بحرقة بادية على ملامحي المتعبة:
(لما فعل كل هذا)
أتسائلُ بوجعٍ لا تدرك معناه..
(من المخطئ بيننا ؟)
عزيزي
أنت لا تعلم معنى كلامك ، لا تعلم ما معنى الحبَّ ، أنت رجلٌ لا يعلم كيفية العيش ولا كيفية التعامل مع من نحب ، أنت أحمق ، لا تجيد فعل شيء سوى الرسم..
لكنني تأكدت اليوم أن حبي من طرفٍ واحد ، طرف يشد بكل قوة ويذهب ولا يعلم أين خطاه ، أنا أحاول أن أزيد القرب بيننا

سرعان ما ترمي بيننا المسافات ، كلما أقول اقتربت منك أجدك ترمي بيني وبينك ما بعد السماء والأرض..
يا عزيزي، أنت أحمق ولا تجيد الحبّ.

****

أتعلم يا عزيزي أن الأمور في غيابك معتوهة ولا قيمة للعيش ، أدركتُ أن كل الأمسيات بدونكَ ليست إلا مجرد فتات من النهار ، وأدركت أن ألحاني كلها ماتت على أنامل التعب والمعاناة ، علمت أن لا شيء يدوم ولا يشيء يبقى إلا حبي لك ، إلا حبي الذي جمعته من أوتار قلبي من وحي الحنان ، عزيزي وحبيب روحي أنت الآن لا تعلم لا تعلم كم من النجوم ابتلعتُ لأصبح ليلاً بسع النهار.

أحبُّ رائحة عطرك التي لم تدخل على أنفي من قبل ، أحب عينيك أحب أن أغرق في بحر عينيك وأرسو على مرفأ جفونك ، أو أن أصعد اليابسة التي تمثل شفاهك ، كي أنزلقُ إلى رقبتك البيضاء هنالك ، آهٍ من هناك ، أغفو.. أغفو.. ولا أجد من يوقظني ، حتى أهبطُ إلى رئتيك ، أرقدُ قليلاً بينهما ، وأنا ألوحُ لقلبك بيدي المبتورتين ، أقول له بكلِ حسرة تملء كياني ، سأدخلك ، عليك الانتظار فقط ، أجلس مع وحدتي أتأملُ

أعوامي وأحزاني أتأملُ حبي وأشلائي ، أفتحُ مقلتي الكبيرتين ، أكتشف اليقين فيك ، أكتشفُ ألمي الممزوج مع بعض السعادة ، مع فرحةٍ مرة مرة جداً تغني لمعشوقها القديم.

لا ترحل لا ترحل ، لا تتركني عالقة في نغمة تدلت على شرفات الروح ، لا تدعني أُأسر في خزائن البؤس ، عزيزي يبدو الكون بدونك أبله ، والأشخاص أشباحاً ، الازدحام حولي يزداد ويزداد ، وأنا أركن في الزاوية ، كقطعة فحمٍ متجمرة على طرف الطريق ، يبدو المكان بدونك أشبه بفراغ.. بفراغ..

لا شوارع لا أشجار لا بشر ، لا أصدقاء ، كل الأشياء اختفت ، والوقت توقف ، كل هذا يبدو بدونك..
عزيزي أتدرك ما معنى أن تصعد عبر الغيوم ، وأن تكون القافية لأغنية المساء ؟ ، أو أن تكون شخصية خيالية لا وجود لها ، أنا أشعر بقربك بكل هذا ، أشعر بنبض الحياة ، أشعر بالربيع والخريف والشتاء ، أشعر بزخات المطر وبالملائكة حولي!
حبيبي يا صانع الأمل داخلي:

أتدرك ما معنى أن يحبك إنسان أن يحارب كل شيء من أجلك أن يقتل كل شيء لأجلك ، أن ينسى الماضي والحاضر والمستقبل ، ألا يتذكر سوى عينيك ،
أو أن يأتي إليك كل ليلة فقط ليطمئن عليك ، ليطمئن أنك لا تشعر بالبرد كما يفعل هو ، أن يتحدث عنك بكل أوقاته ، أن يملئ أوقات فراغه بصورك ، أن يقبّل صورك ويدسها تحت الوسادة ، أن يستيقظ في منتصف الليل ليسأل عنك ؟
أن يحبك كل يوم أن يفكر بك طيلة الوقت ، وأن يشعر بك أن يتحسسك بأنامله ، أن يبكي عليك وينوح ؟ ؟ ؟

أتعلم ما معنى الليل بالنسبة لي ؟ هو مجرد قطيعٍ من الذكريات والأفكار المشوشة ، هو مجرد أوراق من الحبّ تتبعثر هنا وهناك ، مجرد حبرٍ مرسوم على السماء ، وكلماتٍ مبهمة تشكل مواقع النجوم ، الليل ليس سوى أغاني محمد سعيد مع أغاني مسلم ، هو الجلوس على الشرفة ، والاستماع إلى صوتك!

نسيت مرة أن أخبرك أن تسجيلاتك الصوتية لاأزال محتفظة بها ، نسيت أن أخبرك يوماً أن صوتك كان الشيء الوحيد الذي انتشلني من أعماق الخراب ، هو الذي صعد بي إلى سابع سماء ،

وجعلني أدخل إلى الجنة ، وأسوح بين الغيوم.. جعلني أوقن أنني إنسان ، سرعان ما أهبط بي إلى سابع أرض ، أنت تعلم ما كان بداخله..

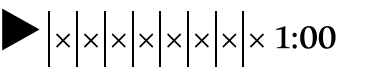

دعنا نرقص وكأننا في عصرٍ فيكتوريّ
دعني أرقد على كتفك ، أو على قفصك الصدري ،
دعني أكتب أشعار في عينيك ،
دعني أشنقُ البُعد وأعدم المسافات ،

دعني أغني لك أتخذ من شعرك أوتاراً ومن أصابعك ألحاناً ،
دعني أغلق جفني في حضنك الدافئ
دعني آخذُ ذراعيكَ في رحلة حول خصري
دعني أرقص لك بين زخات المطر

دعني أحكي للناس حكاياتنا ، وأصرخ بكامل حبالي الصوتية أنني أحبك
دعني أعانقك حتى تتحرر القدس وحتى يعود كل رجل إلى أمه الثكلى
دعني أصنع طوق ياسمينٍ ألّفهُ حولنا ، أشدُّ عليه لكيلا ينتهي عناقنا
دع عناقنا يطول وليلتنا تدون على الأحلام
دعني بقربك حتى يستيقظ الأموات وتزورنا الشمس ،
دعني بقربك معك أنام على صدرك وأستيقظ بين مفترق أناملك
دعني معك أدفئ أركانك وأجعلك نوراً بعد الظلام
دعني أسافرُ بك أستقر في داخلك
دعني أتخذ من صوتك رداءً أستر به أيامي التعيسة

دعني أفرغ حقائب حبي في غرفتك ، وأمسح السواد منها ، دعني أجعل كيانك زهوراً ، وأزرع على رقبتك النرجس ، دعني أغرزُ أقلامي بين عضلات بطنك ،
وأرشُّ حبري على وجهك
دعني أحبس لك القمر في زجاجة ، وأشرعُ قصائدي في الهواء الطلق..
دعني أوقف الزمن عند لحظة دخولي منزلك ، ولنعش قدر ما استطعنا ، لنعش الدهر بأكمله..
أنا وأنت لوحدنا في غرفة مظلمة بين همسات الشموع ، على ألحانٍ هادئة.. هادئة جداً
تجعلنا نضيع في هذا الفضاء ، نزيل لعنة الحياة ، ونبقى في رفوف السلام
لوحدنا
تحضننا الأنغام ، وتلتفُ حولنا الأضواء الخافتة ،
ونبقى سوياً.. سوياً
عزيزي يا حبيب روحي
يا من جعلني ألملمُ أجزائي من الطرقات ، ورتّبني حتى جعلني بناءً يستند عليه من عواصف الحياة.

أحبُّ القدر الذي جمعني بك ، وأحبُّ القضاء الذي جعلني أبصرُ الحياة من عينيك ، أحبُّ ذلكَ الوقت الذي أحادثكَ به ، أحبُّ تلك السّاعة التي وجدتك فيها ، كنتَ دائماً مختلف عن الجميع ، وكأنك رسمة في وسط خربشات طفلٍ في الثالثة ، أحبّك حينما تتحدثُ عن أشياءٍ لا أفهمها..
أحبُّ سوداويتك الدائمة ، وأحبُّ اكتئابكَ الدائم ، أحبُّ أن أجلس معك ونتحدث عن أمور لا تخصنا..

****

أخافُ عليكَ من فتاة..
لا تفهم اكتئابكَ المعتاد ، ولا تقدّرُ حبك لها ، لا تحبُّ رسماتك ، ولا تجعلكَ تنام على صدرها ، لا تأخذكَ نزهة في ليالي الربيع ، لا ترقصُ لك كل مساء ، أخافُ عليكَ من فتاةٍ لا تحتملُ فوضويتكَ المعتادة ، ولا ترتبُ لكَ أغراضك ، لا تحتملُ تقلّباتكَ المزاجية ، ولا تقبّلُ قمصانكَ عندما تغسلها لك ، لا تلعبُ معك في الثلوج ، ولا تدفئكَ ، أخافٌ عليكَ من امرأة لا تسمع شكواك لا تتأملُ عينيك ، أخافُ عليكَ من امرأة ، لا تكتبُ لكَ قصائد عن عينيك ، أخافُ عليكَ من امرأة تجعلكَ تطفئ الضوء عندَ النوم وتجعلكَ تعدُّ الغداء بنفسك ، أخافُ عليك من امرأة تستهزئ بكَ عند البكاء ، ولا تسمع حديثكَ الطويل مع المرآة ،

أخافُ عليكَ من امرأة لا تحبك أن ترتفعَ منكَ ثلاثينَ ألفَ عام ، أخافُ عليكَ من امرأة تعاملكَ كطفل ولا تهدئكَ عندما تشتعلُ نيران العالم في صدرك ، أخاف عليكَ من امرأة لا تغني لكَ لتنام ، ولا تقبّلك عندما تستيقظ ، أخاف عليكَ من امرأة لا تحملُ همك ولا تجعلك سعيد مبتهج ، أخافُ عليك منها هي التي لا تحبك ولا تهتم لأمرك ، لا تسمع كلامك ولا تفعل ما تأمرها به ، أخافُ عليك من امرأة لا تهتم بك ولا تنظفُ لكَ أحذيتك ، أخاف عليكَ من امرأة ، لا تحملكَ على كفوف الرحمة ، ولا توقظكَ على صلاة الفجر ، أخافُ عليكَ من امرأة تصرخُ بكامل صوتها لأن توقظك ، من امرأة لا تجعلكَ تنام بينَ ذراعيها ، أخاف عليك مها هي التي لا لا تفهمك أبداً لا تكتبُ لكَ رسائلاً وتلصقها أعلى سريرك ، أخافُ عليكَ من ها هي التي لا تعاملكَ كما أعاملكَ أنا!!

***

فلقد غلبني الشوق!

****

في الثالث عشر من أيلول
أكتبُ لك ، ودموعُ الخيبةِ تبللُ خاطري
وتغرقُ روحي الوافدة من بين نوافذ القبور ، لتعثر عليك ،
كغيمةِ أحلامٍ شاتية تطوف أعلاي..
لكنني في بعدك لستُ سوى جريحٍ يتأرجح بينَ سلاسل
الأحزان ، ويضاءُ بفوانيس الاكتئاب..
آن ليّ الآن أن أعترف!
وأنا السرمدي الذي غاص قلبه في أحشاء الظلام..
-أنت ، يا مهجور القلب بين حنايا الرمال ،
يا لكَ من ميت ، يا لكَ من مغفلٍ يدعُ روحه تمشي عتيقة
وحيدة ، كالسكارى على طرقاتِ الغروب ، حُفاتُ الكيان لا
يبالون..
ها أنتَ وحدك في صومعتكَ المنعزلة..
بينَ أشباح الماضي ، ها أنت بكل ضعفٍ ترفضُ أن أشاركَ
معاصيك أحزانك وأفراحك ، ها أنتَ ترفضُ كل النفوس
المنتثرة على صدرِ المساء..
عزيزي دعني نصفٌ منك ، أفرح حين تفرح ، وأنوح حين تحزن..
دعني أفعلها أرجوك!

****

الرابع عشر من أيلول.
اليوم يا عزيزي انتهت قصتنا ، مات حبنا الذي لم يخلق إلا فيني ، شعرت للحظة أن المكان انخفض بي إلى سابع أرض ساحباً بي عبر الأثيم ، لم أستطع إيقاف عيني عن البكاء ، كنت أبكي بكاءً مُر ، مرُ جداً ، يحرمني عيناي..
ماتت آلافُ الأشياء، وهي تحاول تطهيري من ذنب البكاء..
كانت الجدران تواسيني في بلواي ، وكان كل شيءٍ يبكي معي ، كنتُ أظنُّ أن السماء ستمطر لكننا في أول أيلول والشتاء يأتي في آخره ، بكيت حتى جفّت عيناي..
عزيزي أعلم أنني من أخطأت بحقك ، عزيزي أنا لا أقصد شيء!

...لكنكَ يا حبيبي قد دمرتَ حياتي ، قد جعلتني أجزاءً لعينة ، قد جعلتني أخبو على ألحان الحزن أكفنُ نفسي بالدموع ، كان ما بيننا مجرد مسافات ، أما الآن فبيننا كواكبٌ ، فما بيننا حدود كرهٍ منك وأسراب اشتياقٍ مني!
كل هذا وأنتَ تنام غير مبالي

وأنا أحرقُ في جهنم الدنيوية ، ذهبتَ وتركتني أسبح في بحر المآسي والأوجاع ، تأخذني الأمواج على شطٍ منسي لأرسي عليه ألمي ، يا عزيزي ويا حبيب روحي ، لما فعلتَ بي كل هذا ألم تكن من سيلملمُ أجزائي ويجعلني بناءً يستند عليه ؟ قد فقدتك وفقدتُ الكون معك ، من بعدك لا أريد سوى شيء واحد وهو الموت ، في بعدك تتركني كل الأشياء ، حتى الهواء الذي أتنفسه ، والآن أنا أختنق.. أختنق ، أغرقُ في الدموع وأختفق! ، أرجوك.. أرجوك ، خلصني من هذا الرماد ، أحتاجك ، أحتاجكَ بشدةٍ عارمة تطفو على شفاهيِ المتمزقة ، لما فعلتَ كل هذا أهذا هو عقاب من يصدقُ ، صدقتُ عندما قُلتُ عنك:
((أنتَ أحمق ولا تجيدُ الحبَّ))

...لا سامحكَ الله ولا عفى عنك ، أنتَ يا من دمرني يا من جعلني أنوح كالثكلى وأصرخُ كالأطفال ، لا سامحكَ الله ، لم يبق شيء لأواسي به أوجاعي ، أنتَ لا تعلمُ معنى الفراق يا عزيزي ، لا

تعلم شيء أبداً عن عالم الحبِّ والخيبات ، لا تجيد شيء سوى تكسير الأشياء ،

عزيزي يا ذلك الرجل الذي مرَّ مرور الكرام على عتبات المساجد ، يا ذلك الذي رمى حجارة من سجيل على فؤادي الطيب ، يا ذلك الذي لم أعتد على حضوره حتى غاب ، غاب كما تغيب الشمس وتتركني في ظلماتِ الليالي ، قد رحل كل شيءٍ سدى رحلت حروفي تجرُ ورائها أسمال خيبتها الحافية ، راحت الرياح تهدئني والأشجار تبكي عليّ ، راح الحائط يستندُ عليّ ، وبات الجو رمادياً ، وتحول كل شيء إلى فراغ لم أعد أرى أصدقائي ولا عائلتي ، لم أعد أرى النوافذ ولا الشوارع ، كل شيءٍ انقلب ضدي ، حتى بدأت الكواكب حولي بالدوران ، والمجرات تدخل وتخرج من صدري ، وأنا لا أزال جالسةً على مقعد الحنين ، أرنو إلى وفود الأحزان التي تخترقني وتستقر داخلي ،

أنظر إليّ نفسي فلا أجد سوى بائسٍ أنهكتهُ خرافةٌ تسمى الحبّ ، فلا أجد سوى طفلٍ يتجولُ في شوارع الحربِ طالباً السّلام ، وأسلكُ طرقاتي وأنا حافيةَ القدمين والقلب ، أستشعر في البرد القارس ، أيُّ بردٍ هذا ونحن في أيلول ، أتجول بين

الثلوج وأنا عاريةَ الأكتاف عارية الروح ، أمشي على الأرضِ المتجمدة ، حتى تتجمد شفاهي ويثلجُ فؤادي ، يهدم كياني وتتكسر عقارب ساعتي ، أهبطُ تحتَ الماء ، أغرق في الماء في الدموع في الحزن والفراق في بحيرة الاشتياق ، أرى حبالٍ من الأمل أسارعُ لأتشبث بها سرعان ما تمزقها حروفك وتقطعها حبالك الصوتية ، سرعان ما تدهسني بكلماتك وتقول عني حمقاء ،

لكنني أغرق.. أختنق.. أنقذني ، أنقذني ، أتوسلُ لكيانكَ الصاغي ، أمدُّ يداي للهواء ، لعلَّ شيء ينقذني ، لكنني أبحرُ وأغرق عميقاً.. عميقاً دون وجود شطٍ أرسي عليه!

في الليل أُرتبُ نفسي من جديد ، أضع قلبي مكان عيني ، حتى أبكي كل الدموع التي كبتُّها في النهار!

-محمود درويش.

...تكسرت أجنحة موعدي ، غاب اللقاء تحتَ غصةٍ التفت حول حنجرتي ، ما عدتُ أشتمُّ رائحةَ الأحلامِ الدافئة ، ما عدتُ أمشي وما عدتُ أحكي ، سبحان من شقَّ الطريق بيننا ، وقطع حبال الودّ.

أنا سفينةُ البؤسِ ، أركان الخذلان ، أبحرُ عبر الأنهارِ اليابسة ، عبرَ قرونِ الأمس ، أشربُ دخان سجائري وأسقي أطراف أحزاني ، أتوه بينَ السُبل ، بينَ الماضي وبينَ الجنائز ، أنا سفينةُ البؤس أبحر دون شطٍ لأرسي عليه ، دونَ ماءٍ أطوف عليه ، أنا قطارٌ بائسٌ دون سكة أو دون محطات دون ركّاب ، هاربةٌ هي أسرابي وأطيافي ، أقلامي وأوراقي ، آهٍ كم أشعرُ بالتيه آهٍ كم أشعُر بلوعةِ الفراق ، آهٍ كم أحبك..

في كل ركنٍ من المقهى أتوه ، أرى من المرآة خيالَ رأسين متلاصقين بجانب النافذة ، خيال رأسي ورأس طيفكَ الوفي..

في المقهى أنهي حديثي أنهي روحي وأنهي آخر أشعاري ، أخرجُ لأركبَ فيني ، فيني أنا القطارُ البائس..

أصعدُ وأنا بينَ العالمين بينَ حبّي وحبال طيفك ، أغرزُ في خصري السيف وأضعُ بعضَ المسامير تحتَ أجفاني ، تنتهي رحلتي تنتهي سيجارتي وتنتهي قصتي ، أجلسُ قربَ الباب ، أنادي من كان يسمعني ، أعانقُ قطاري الحزين وأغفو بعيداً.. عميقاً ، داخل فنجان قهوة ، داخل سلةِ فحمٍ ، خارجَ القطار.. خارج نفسي خارجَ حدود العالم!

****

*****

لما أتيتَ كغريب..
وذهبتَ كأبٍ لطفلٍ وحيد
لما أتيتَ كالألحان ، وذهبتَ كأناشيد الوطنِ ؟
لما أتيتَ كالمطر وذهبت كالبركان ؟
لما جعلتني أُفرّقُ الأشواق ، على كل أجزائي على كل أركاني ، لما نسيتَ طيفكَ معي ، على حافةِ الأريكة ، يجلسُ كما كنتَ

تجلس ويشرب من دموعي دماءً ، أكادُ أنتهي ، فلقد فرغَ كل ما داخلي ، أصبحتُ هيكلاً فقط ، لا قلب لا شيء..
وهذا ما يؤسفني ، لأنني يا وجعي البليغ ، أضيعُ في السبل وأنوح كالرضيع ، لكن يا عزيزي انتهت قصتنا وانتهيتُ معها ، انتهى دوري وانتهت سيرتي ، تلاشيتُ على الأكوان ، وتبعثرت ذكرياتي بينَ المعارف ، تناثرت حروفي على الرصيف ، وسُحقت كلماتي في الشوارع ، حلّقت أوراقُ كُتبي ، وبدأت حكايةٌ جديدة!
حكايتي معك ، موتي فيك ، ودفني بعيداً عن عينيك!

*****

...كُنتُ أكتبُ قصائدي من حبر الأنين من وحي الغياب ، كنتُ أدّسُ في كلّ سطرٍ قطرةً من الأحزان ، كانت خطوطي عرجاء ، وأقلامي قصيرة ، كانت أصابعي معطوبة ، وكان وقتي يغني للمساء ، وكنتَ تتركني في كل مرةٍ كغريبٍ على حدود المدينة ، تركتني هنا لوحدي بين هذه الشطور ، هنا الأشياء رمادية ، هنا يبنون جنازةً للشمس والأضواء ، كلُ من هنا بلونٍ قبيح..
أكتبُ على الجدران آخر كلماتي ، وصيتي الأخيرة ، أجزائي المُكبّلة!

عزيزي أنتَ لا تريد شيء مني ، لا حروف لا أشعار لا قصائد ، ومع كل هذا لا زلت محتفظة بقطرات صوتك ، أستمع إليه كلما شعرتُ أنني طيف ، وأيّ علمٍ هذا الذي لم يخترع إلى الآن أطياف من نحب ، لستُ أدري ما الذي سيحلُّ بي بعد الغياب الذي دمر العالم من حولي ، كنتُ في أركان الحزن يتيمة الحبيب ، لا نوراً لا ضوءً لا شمساً ، لا أنت ، وأنا أبكي بكاءً يسقط القمر إلى سابع أرض ، بكاءً يبكي وموتٌ يموت ، هذا الذي في داخلي سيدوم للأبد!

أتذكرُ حينَ ذهبت ؟ وتركت لي حزناً يكفيني لمئة عام ؟ أيُّ كرمٍ هذا يا عزيزي!
حين ذهبتَ مخلفاً ورائك خراباً شاملاً ، وذكرياتك القصيرة ، وقطعٌ منك لا تزال داخلي ، نفضتني عنك غير آبه بي ، ذهبتَ كعابر سبيلٍ كمطرٍ تركَ موسمٍ كامل ، يابس ، بدون نفس بدون روح!

*****

أحاول إيقاظك ، من كابوسك الماضي ، فلستُ أنا تلكَ الرياح التي تهدئك ، وتحملكَ في الأوتار وتأكلك..

أنتعلُ أشجاني ، وأمدُّ دموعي ، وأمتصّ أصابع الغياب ، حقيبة الرحيل أحملها ، وفي داخلها ذكريات ، مشاهد ، قصائد ، أمسيات ، أمضي في سبيلي في دخاني وفي مسافات العويل ، أحطمُ المذياع الذي يقرأ أفكاري ، وأقطع الأشجار التي تشفق على أجزائي ، أمضي حاملة معي جيوش البكاء وأجنّة هزيمتي ، التي خلقت في رحمِّ منزلي ،
أحاول إيقاظك ، إيقاظ وجهك الحزين كقمر في أواخر الفجر ، وجهك النقي من الدمار ، النقي من أفكار الغبار، **وجهك النائم كجثة جنة، على طرف السماء!**
وجهك النائم ، كشظايا ليلٍ مكسور ، وجهك الذي أطارده في أوراق الأشجار ، وجهكَ الذي أرسمه بالطبشور على الجدران..
وجهك البائس ، كبحرٍ يبتلع الكلمات ، الحالم كطفلٍ مقطوع القدمين ،
وجهك الذي ينزع السيف من الشريان..
وجهك المرسوم على مناديل الأكوان ، المنحوت بأنامل الشطآن ، وجهك العاتي كليلة في أواخر كانون، **وجهك الدافئ كعود كبريت على يديّ البائعة..**
وجهك الذي عاقرته، وسَكرت به وشربته!

****

"وتلكَ العينين قد كانت غيوم كَبُرت على حائطي"
لي ركنٌ من تلكَ الغرفة ، تلكَ التي كانت في الأمسِ عيون ، دياري التي احتلت ووطني الذي كانَ في وجهك ، وعناقي الذي كان على نافذةِ الجفون..
قد كنتَ على شريط قمرٍ في أواخر الشهر
نثرت صوتك على دروب العصافير
وأطعمتُ عينيك للفراشات
ذراعيكَ تاريخانِ مِن قصائد الهوى
فما استمعتُ إلى ألحانهما ، وما كانت يداي قريبة!
عيناك لُغاتٌ فريدة.. شموسٌ كثيرة

****

أريدُ أن أكتبَ لكَ ، بكل جوارحي وأهدابي ، أريدُ أن أكتب لك بكل دموعي وآلامي ، أريدُ أن أكون بدلَ السيجارة التي تضعها بينَ شفاهك ، أريدُ منك ومني ، أن نلتقي ، أن تشرق شمس السلام على وداعنا ، أريدُ منكَ ومني أن نزور أحلامي ، أن نبحر بينَ كفوفِ ديسمبر ، أريدُ منكَ ومني ، أن نلتقي ، أريدُ أن أرقص لك بفستاني الأبيض المشروط من الجوانب ، مكشوف الأكتاف والمشاعر ، أريدُ أن نلتقي ، أن نرقص على إيقاع المطر

على إيقاع كياني ، بينَ غبارِ وجهك وزخاتِ عيني ، تحتَ سماءٍ رمادية وأجنحةٍ بيضاء ، أريدُ أن نلتقي لكي تتحرر ظلماتِ الليالي لكي يفوز قلبي بك "وهو أعظم الانتصارات" ، لكي أكسر الأبواب أمامي وأدخل ، وأقتل كل الأمسيات التي رقدت فيها مع وحدتي ،
أريدك بكل شدةٍ طاغية!
عزيزي
كلي لك ، خذ مني كل شيء واترك لي قطعةً من فؤادك..
لا تؤاخذني فيمها كتبت يداي من غباء ، لأنني ومع كل لغات العالم وأبجدية التاريخ ، لا أستطيع أن أرسم شعوري ،
وإحساسي على أوراق الخريف ، إنني كمصرع روحٍ في سماءٍ ما ، كغيوم داكنة وأشواك ناعمة ، إنني ككل الجنازات ككل القبور ، فلا تؤاخذ كياني لأنه هُدم!
يا عزيزي كنتَ كضوءٍ في ليالي الشعراء الباردة ، كمطرٍ على موسم قمحٍ مات ، ككل الجدران في منزلي ككل الأعياد ، هجرتني وهجرت عزلتي وهجرت الأحياء ، رحلت أعوامي تبكي والأوراق تنوح ،
أجلسُ وأرنو سيال من الألم بات ينسدلُ من بين أناملي ، توسلتُ النسيان أن يبيتَ بجانبي ليحميني من ذكريات الليل

من عواصف الحنين ، ماتت أهدابي على بابا منزلك وخُلعت أصابعي وهي تحاول الوصول إليك ، تقف رسائلي على رصيف الحزن منتظراً إياك ، أزهار الياسمين التي لم أحدثك عنها ، هي التي قاومت بينَ صفحات كتابك ، هي التي كبتت دموعها ورقدت دون شكوى ، كتابك الذي أخذ كل دموعي ودسها بين سطوره ، كتابي الذي أخذني إليكَ مع أحلامي السّعيدة ، ليسَ سوى طرقٍ مسدودة وبحار يابسة ، أدراج محطمة وحيطان سوداء! ..

أحتاج للمكان الذي يجعلنا نلتقي ، للوقت الذي يجعلني أعانقك فيه ،

دون أن تحلّ عليكَ لعنة الكره.

لم تصنع لي ذكريات أعيش على شريطها ، ذهبتَ دون وداع..

نسيتَ سيرتي ، أنا التي يعزُّ عليّ أنّ أجرحك!

تقطعت بي حبال الأغاني ، فبِتُّ هباءً منثوراً ، أتسول بين أحشائك أمدُ يدي لأطرافك ، لكنكَ تطفئ الأغنية ،

وترحل لتنام بعيداً عني..

وكيف تنامُ يا روحي وأنتَ سارق ؟

وهل للسّارقِ نوم ؟

وهل لخاطفِ القلوب فراش ؟

أجبني بحق بكاء الوداع بحق روحِ الأموات ،

****

أنتظرك حتى وإن جعلتكَ ميتٌ داخلي ، أنتظرك حتى وإن لم تعود ، فدعني أستلذُ فيكَ بالأحلام ، دعني من الواقع لكنك كائنٌ آخر ،

دعني أروي لكَ حلمَ البارحة أو حلم من مئات السنين ، رأيتك ويا ليتني لم أرك أتربتُ منكَ وعانقتكَ عناقاً تركع له القلوب ، في سفينةِ روحك كنتُ القائدة ، أقود بشعورك وأضعُ يداي على عواطفك ،

حول رقبتك،

عندما قلتُ لكَ "أحبك" كنتَ تبادلني بنفس الكلمة، **كنتُ أعلمُ أنني أصنعُ مدينةَ مَليئة بالأضواء لأُناس لا تبصر ،**

انتهى وقتنا وراح كلٌ منا إلى واقعه ، ذهبت تجلسُ على أحزاني ، تلفُ السجائر وتلعب الورق ، وتضحك ، ولا أمانعُ أنا ،

لأنني أحبك ، ولا أكذبُ عليك ، ولا أخاصمكَ لأنك لا تحبني ، ولا أخاصمكَ لأنكَ لم تجلب لي الأصداف من البحر ، لكن يمكنكَ أن تأخذ الأصداف وتأخذ المسافرين والسفن وتأخذ البحر كله وتترك ليَ "أنت" ، لأنني أحبك وأقدسكَ ، لأنني أتخلى عن بحاري لك وأنهاري لك ومجراتي لك ،

لكنكَ لي!
أليسَ كذلك ؟

****

وجهكَ منحوتٌ على جدران المدينة ، منحوتٌ على غيوم السماء ، وعلى ساعةِ المساء ، منحوتٌ أسفل سريري ، وعلى السكاكين في المطبخ ، محفورٌ على يداي ، وأعلى ظهري ، أرى وجهكَ في كلِ الطرقات في كل الوجوه ، على كل السنين والشهور وعلى عقارب الأيام ، أنت من سكنتَ فيي ، سكنتَ بينَ كتبي وبينَ أبوابي ، بينَ أجفاني وعلى مرفأ ساعديّ ، كنتَ دوماً بجانبي ما عدا طيفك الذي لم يدعني وشأني ، كنتُ أحبه عندما يقترب مني وأقترب منه أمدُّ له ذراعي ليختفي ، كُنّا دائماً نلعبُ لعبةَ الغُميضة ، كنتُ أعدُّ ، واحد ، حرقة في الحنجرة ، اثنان أسمعُ صفير أحزاني ، ثلاثة أدير ظهري ، مفاجئة ، لأراه قد رحل ، أبحثُ عنه خلف الخزائن ، في الحمّام ، على السطح ، بينَ كؤوس الماء ، على مفترقِ الحنين ، لكنني لا أجده ، أعود لأعدّ خيبةٌ ، خيبةٌ ، خيبةُ ، خيبةٌ ، خيبةٌ ، خيبةٌ ، خيبةٌ ، خيبةٌ

أنا أولُ القَصيدة..
وآخرُ الجنازة!

لو كانت يداي قريبة لو كانت ذراعيّ قريبة ، لو كنّا سوياً تحتَ جسر المدينة ، كنتُ سأقبّل عينيك ، كنّا سنصعدُ إلى القمر ، أو على الشمس ، كنّا سنعيشُ في حياةٍ في حياة!
لو كُنتَ معي يا عزيزي لو كنّا تحتَ سماءٍ واحدة ، لو كانت الشوارعُ تجمعنا لو كانت أشجار الخريف تستُرنا ، لو كنّا وراء سور البيت نتبادل القُبل ، لو كنّا تحتَ أمطار أيلول ، نرقص التانغو ، ماذا لو كنّا سوياً ، ماذا لو سُجنَ صوتكَ في قارورة عطرٍ على مرآتي ،
ماذا لو كانت يداك أغصانٌ تَمتدُّ حولَ عُنقي ، ماذا لو كانت أصابعك نهرٌ يجري على شفاهي يجري على أكتافي ، ماذا لو كانت كلماتي كأسٌ تعاقره في الصباح والمساء ، ماذا لو كانت خصلات شعرك جذوراً تمتدُّ على صدري ،
ماذا سيحصل لو كُنّا سوياً مع نغماتٍ رومنسية!
يا أقلام أحزاني أدنيتني من روحك يا بعدَ روحي..
كنتَ مني ومن مني ، لم أعرف نفسي بين زحام الناس ، حتى أبصرتكَ في عين أنا.
يا حبَّ الشعراء، **يا من تَشتهيهِ الرجالُ والنساء**، يا كل عشقٍ في قلوب الأهالي ، أنتَ كتوبةِ كافرٍ كحروفِ كاتب

****

أرجوكَ أن تحمي عينيك لي ، لأنهما أقوى أسلحتي..

****

فكرتُ أمسُ بحبّي لك ، مزقتُ جميعَ أوراقي وخرائطي ونبوءاتي ، قرأتكَ من خطوط يدك ، ومن ممرات وجهك ، عرفتُ أنكَ لي وأنيّ لستَ لك ، شعرتُ بأمطار عينك قبل أن تبللني ، وسمعتُ ألحان صوتك قبل أن تكلّمني ، ألا ترى كم رحيمةٌ أنا بك ؟
كم كنتُ أحتملُ سيوفكَ التي تنخزها في خاصرتي ، إنني أصبرُ وأنا حرٌ منك ، إنني أواسي نفسي وأنا خارج أقفاص صدرك ، ألا ترى كم أنا سجينٌ بتحرري منك ، ألا ترى كم أنا غريقٌ على شطٍ عينيك...
لكنني كلما ضربَ المطرُ على زجاج نافذتي ، أذكرُ أنك لغيري ، أنكَ لستَ لي

***

آبت أمنياتي بك خائبة ، مخبئة بين ظلمات الأرض مشيّعةً مع الوفود الغارقة.. ضاعت بين نعاش الجنة وحميم النار ، نسيت أنها أخر طفيف أمل ، وروحي التي تهرب مني مبعثرة فيك

ودادي ، سفر طويل إليك تذوب منه الأجفان ، أيان كانت قطرات دموعي تنتثر على صدر الصباح محدثة إياك ، ترغبُ لمسَ أنامل روحك البيضاء!
أنامل روحك التعيسة ، أيان كانت أوردتي تتقطع ، وتسيل من ضفائري الدموع ، لكن الآن جفَّ حبري وتكسرت أقلامي وتمزقت أوراقي وبِتُّ بين أيدي الخراب ، الخراب الذي يلملم كل تعبٍ يركب العابرين ، ويرشقه عليّ ، أنا البائس..

****

عندما قلتُ لكَ الحقيقة ، عندما راحت كلماتي تخرج دون سابق إنذار ، عندا تاهت أشرعة أقلامي ورسوت على شط الأسى ، عندما كنتُ مرساة لأحلامي الفاشلة ، وقتها خذلت..
كتبتُ لك بخطوط الياسمين بأتراك أشلائي ،
وأعلنتُ موتي في العمر وحيائي فيك ، لك الأمر في أن تراني خراب شاهق وموتي يأكل المعاتبات ويشرب غيث السماء!
لستُ ببحر يبتلع الكلمات ، ولا أرض تموج في الحريق ، ولا أمطارا تمزق النفوس ، أنا شمس تحلم بأن تشعشع في المساء ، وبدراً يأبى بأن يرجع للهلال ، أنا خريفاً أهبُّ رياحي فأسكت الانهيار ، أنا ربيعاً ينبت الأشجار من دمٍ ومن غيوم أيلول ، فيني حبٌ يكفيك لمئة سنة ، وعطفٌ يحويك في خزائن الأمان ،

أنا أنت!
إن عشتَ أعش
وإن فارقت أُفارق!

***

أصبحت حكايتي كالغبار ، كالتعب على الزوار ، أصبحت حكاتي قديمة ، مهترئةً وفريدة ، ضيقةً وحكيمة ، قبيحة وشريرة ، أصبحت حكايتي تتنزه على ألسنةِ العابرين ، تملئ المنازل والأرصفة والمحال ، أصبحت حكايتي محترقة نتنةً وعفنة ، تشرب الصباح وتتقيأ الليل ، تعاقرُ الكؤوس وتُحملُ إلى القبور ، أصبحت حكايتي مملة من ثغر جدةٍ مصّرةَ ، أصبحت جاهلة تمشي دون عنوان دون اتجاه ، خفيّةٌ كالأقدار ، طويلةٌ كعباءة البدر كوسائد السماء ، حادةً كسيوف المحتلين..
أصبحت حكايتي ثكلى ، عجوزةً وهرمة ، شابت وبيضت ،
حكايتي التي ماتت على شفاهك قبل أن تنطقها
حكايتي التي لم تكن حيات ، لم تكن إلا خيال!

****

في مرفأ عيني الأبيض ، ضوءٌ حزينٌ ينهشك ، وشموعٌ ساخرةً ودموع تكتبُ رحلتها إلى فنجانك القهوة ، في مرفأ عيني

الأبيض ، نوافذ مشرّعةً للأجفان مشرّعةً لدموعكَ النقية ، ولطيور وللحمام ، مشرّعةً لأخبار السلام ولرحيل الحرب ، في شطِّ عيني الأسود ، براكين من الذكريات من المشاهد والأحداث ، نزهاتُ عبر القصائد والأشعار ، في تموز عيني ، في صيف عيني تتساقط الثلوج وتتجمد الأوردة ، في شتاء عيني تشرق الشمس وتحترقُ الأوردة ، في ربيع عيني تتساقطُ الوراق وتتعرّى الأشجار ، في خريف روحي ينبتُ الخضار وتثمر الأشجار ، ترجع السنين للخلف يختلف الوقت وتتكسر عقارب الساعات ، في مرفأ عيني تبحر الأوجاع ، وتمشي مراكب البؤس ، هناك في مرفأ عيني تهطلُ الدموع كالشلال ، تهطلُ معها فوانيسٌ خامدة وشموعٌ مطفأة ، هناك في مرفأ عيني أشياء مبللةً بالحبِّ بعذاب الحبّ ، هناك زجاجة تدفعها الأمواج إلى الخارج ، وورقة صفراءٌ مخططة ، هناك سفينةٌ مثقوبة تسيل منها الأحلام ، هناك طائرٌ مجروح مكسورٌ
هناك كل الأشياء القبيحة!

***

أنتَ هنا
أعلمُ أنك هنا ، في مكان ما خلف الستائر ، خلف أعمدة المدينة ، أو قضبان الحديقة ، في قلبي أو على جانب روحي ،

صدقني الأمر صعب أشبه بالحشرجات أو أشد ، وكأنني نقطة سوداء على هامش الفراق ، **وكأنكَ داخلي ولستَ معي!**
-من أنت ؟
وعلى أيةُ طرف من هذا الكوكب المعتوه لك ، هل روحك في السماء ، وجسدك راقداً مع أكوام العظام..
عزيزي إن كنا على الأرض ذاتها ، إن كنّا تحت سماءٍ واحدة فاسمعني ، أفتقدك ، أفتقدكَ أكثر من الازم ، أفتقدك بشكلٍ مفرط يشرب من أنحائي دماءً ، أريدُ أن أبشرك بخراب فؤادي بالتفاف طيفي بعقد الرحيل ، بذبول دموعي ، بتقطع أشرطة أحلامي..
عزيزي
عاهدني أنكَ ستأتي
وسأعاهدك أنني لن أذبل!
****
وأن أتخطاك أرحلُ بعيداً عنك
وأن أجدكَ ميت
بعدَ غياب طويل..
****
ربما في يومٍ ما

سَتشرق الشمس على بلادي
ستشفى الجروحُ مِن كَبد النهار
سَنأكلُ الدماء كَي لا تلوثُ الأحلام
ربما في يومٍ ما ستبنى مدينتي
وتحيا بيئتي
ربما في يوم ما
ستعود
للحياة
تلك التي في داخلي

***

لي قدمان تجريان إليك ، لي عينان تحملقان في عينيك ، لي قلب يعانقُ ذراعيك ، لكنني لا أيد الالتحاق بك ، بيني وبينك ما بين السماء والأرض ما بين المشرق والمغرب ، فكيف لي أن ألتحقَ بك ؟

مللتُ من كوني أنا..

وكأنني ثقباً أسود يبتلع الأحزان دون أن يسأل :لمن تكون هذا ؟ وأنا من أكون عند الليل قتيلة فوق مسالخ الخراب والدمار ، أُذبح حتى الموت!

وفي النهار ، زهرة هادئة غضة ، غنية الإحساس فقيرة الا شيء.
صنمٌ مؤقت روح نائمة معطرة بألحان الصباح..
سرعان ما أخبو وأنطفئ..
ويهجرني السلام ، سالكاً جميع الدروب دون النظر إلى الوراء ، فأمسي وأنا أسمع أصواتهم تولول على ما حدث ، ووقع أقدامهم تقترب ، الظلام داحم جبار يسكن حيث أنا ، حيث لا أبصر شيئاً ، ويرميني بأجداث وكأني وجهاً لعين..
وتُهالُ عليّ شعوذة الأيام الماضية
علّي أدفن مكاني..

***

آهٍ يا مضيق الذكريات الذي ابتلع أحلامي أمسياتي ، آهٍ من العذاب آه من المعاناة ، وكم فؤاد على برزخ العمر مكسوراً لا يجبره إلا الخالق ، أغني والشعر لا يليقُ بي ، أنا السُفلى أنا الجيب الممزق ، أطير إلى شرفات البحار ألتقط غيمة تلو غيمة ، أشربُ من الصوت الذي كان يجرحني وأكسر صدري وأخرج قلبي أدحرجه على طرقات الغروب ، علّه يصرخ صوتاً يهلِكك يهلك الأموات ، وأنا لستُ سوى بحارٍ يبحر في سمائكَ يسقي نجومكَ يشرب دموعك ويأكل روحك..
سفري إليكَ بعدَ ثلاثة:

واحد: هذا الجريح الذي أنهك الوقت قلبه..
اثنان: حان وقت التحليق في فضاء روحك
ثلاثة: حان وقت سفري الملون إليكَ
يا روحي يا روحكَ يا ضائعتان ، يا ممتلئتان بدموعٍ باردة ،
أنخفضُ يوماً تلو يوم ، ساعة تلو ساعة ، أنهي وقت الحروب ،
وأمسي على الأفلاك مهزومة ، أكسرُ نفسي بنفسي فلستُ إلا
خيطَ دخان ، ما من خيط دخانٍ يبقى وما من يأس يزول!

****

تقطعت
روحي
فبنيتُ
من
بقاياها
هذا
الجسد
الهزيل!

****

آهٍ من رجل ، لا يشبه الرجال ، يتقطعُ في وجهه التاريخ ، يسرقُ الجرحُ شفائه ، آهٍ من رجل ، يتقلبُ كل مساء ، يكون لوحاً يصبحُ ذئباً ، آهٍ من رجل ، يدعسُ حافياً على سطور كتابي ، يحبُّ رائحةَ الدموعِ تحتَ نقابي ، آهٍ من رجل لا يشبه الرجال ، يصبحُ كالغريب إن خاصم ، يصبحُ كالوريد إن صادق ، آهٍ من رجل ، يسمعُ عويل أحزاني ولا يبالي ، يرى بحر أشلائي ولا يداوي ، آهٍ من رجل لا يشبه الرجال ، يكون امرأة إن بكى ، يكون طفلاً إن فرح ، آهٍ من رجل ينام بينَ صرخات عذابي ، ويتسكع بين قصور قلبي ، آهٍ من رجل تنسدلُ الشمسُ والقمر والغيوم من كتفيه ، يسجدُ له الصباح ويركع له الضياء ، آهٍ من رجلٍ ضائع بينَ لغات الحبّ بينَ لغات الكون ، من رجلٍ لا يشبه معشر الرجال ، من رجل تكون في عينيه أسلحةٌ تكفي لتحرير وطنٍ كامل ، آهٍ من رجلٍ عنيد يحتفظ بكلتا يداه الدافئتان ولا يعريهما لتجمد أضغاني ، آهٍ من رجل لا تصفه الحروف ، ولا يبتلعه الغبار ، من رجلٍ يتأخرُ عليه قطار العمر فلا يبالي ، تنتحرُ أطرافه فلا يبالي ، تحترقُ امرأته فيضحك ، آهٍ من رجل ينتصرُ إن هزم ، ويهزمُ إن انتصر ، من رجلٍ يمشي على رأسه ، من رجل يشعلُ أطراف أصابعه ليرى رأس عدوه في

الظلام ، من رجلٍ لا يعرف كيفية العيش ولا كيفية التعامل مع الناس ، من رجل أحمق لا يجيد فعل شيء ، لا يجيدُ أكلَ الحلال ، من رجلٍ يدور حول نفسه ولا يعلم لماذا يدور ، يستحمُّ بالقهوة ، ويشربُ هديل الشروق ، من رجل تورقُ أغصان الحبِّ حول ساعديه فيقطعها ، تنبتُ شجرة النور على صدره فيحرقها ، آهٍ من رجل يفعل كل هذا
ولا يعلم أني هنا!

****

يا عزيزي يؤسفني أنني تخطيتك ، أنني أحببتك وكرهتك ، يؤسفني أنني ظننت بك ظنَّ السوء ، شككت بك شكوكَ الأسى ، يا عزيزي يؤسفني أنك أبله ، ساذجُ وربما أحمق ، يؤسفني أني لستُ لك ، أنَّ حبيِّ الكبير لم يكن لك ، لم يكن لعينيك ، يؤسفني أنكَ كنتَ كذبة ، جميلةٌ وبسيطة معقدةٌ

وأليفة ، يؤسفني أنني لم أكن معك لم أكن بجوار روحك ، عندما كنتَ وحدك ، وحدك تصارع أشباح الزمان ، يؤسفني أنني لم أحتويك لم أدفئك وأنسيكَ مقاسيك ، يؤسفني أنكَ لم تختارني أو لم أختارك ، يؤسفني أننا لم نكن بالطرق ذاته ، يؤسفني كل شيءٍ يتعلق بك ويؤلمني ، أعود وأدون على الأعمدة أني أحبك أني فارقتك وأني أمتك ، أعود وأحكي للجدران طريقة كلامك ، يا لها من ذكرى خابية تعشعش في الصحِف الأولى من هذا الكتاب ، في ذلك الوقت الذي كنّا به سوياً ، ربما كان بيننا من المسافات ما بين المشرق والمغرب ، لكنكَ حتماً تفهمُني وتفهم ما أتفوه به ، أو ربما ستأتي بعد احتضاني للنسيان وزواجي بالنسيان ، يؤسفني أنك ستأتي لتراني مع غيرك ، حقاً يؤسفني وجهكَ البريء ، ونظراتك المسكينة ، يداك المرتجفتان ، وشفاهكَ الممزقة ، ركبتاكَ المتجمدتان وعينيكَ المطفأة ، اكتئابكَ الدائم ودموعك المطلقة ، تؤسفني فكرة أنك رجلٌ أبله ، تسطو عليَّ أحزانك ، أبكي على حالكَ السيئة ، حالكَ التي بدأت تنام في الشوارع ، وتشتعلُ من البرد ، يؤسفني كفّكَ الممتد للعابرين ، يؤسفني رحيلك إلى النار ، رحيلكَ

إلى جهنم ، يؤسفني موتك وجنازتكَ التي لم يكن فيها إلا أنا ، تؤسفني ذكراكَ التي لم تعد على لسان بشر ، تُنسى بينَ حبات التراب بينَ زهور حديقتي ، وتشييعك في منزلي ، تؤسفني جثتكَ التي لم يودعها أحد حتى أنا ، بل احتفظتُ بها في منزلي ، حتى ألقاك ولا أخلفُ وعدكَ لي ، حتى لا ألقى الوداع والدموع والنواح ، حتى أكون هنا وحدي معك ، مع جثتك الهامدة ، معك مع طيفكَ اللطيف ، وشبح صورتكَ الذي يطفو على جدراني ، مع ابتسامتكَ الساخرة ، التي اعتدت عليها ولطالما قبّلتها في الأحلام ، هنا معك" أنت" لكي أحقق ما بنيته من أمسيات معك ، حتى نعيش تحتَ سقفٍ واحد ، حتى أكتب لك وأغني لك وأرقص لك ، ولكي أخبئك بدفاتري بأصابعي بنزيفِ أحزاني ، تؤسفني فكرةُ أنك راحل أنك ميت ، يؤسفني أن عزائكَ قبيح خالٍ من الناس والمديح خالٍ من الحياة ، من الليل والنهر ، خالٍ من كل شيء..
تؤسفني أنت...

****

الموعد الأخير ، ألقاك به على متنِ الزمان ، أبحر إليكَ بحروفي ، تراني سأصل ؟

أجلسُ بالقرب منك بالقرب من شفاهِ الجدران ، أمدُّ ذراعيّ لك أمدُّ أطرافي وأوراق عناقي ، يضيقُ فؤادي إليك ، يضيقُ صدري لعينيك ، أقلبُ بينَ خطوط يدي ، بينَ القصائد في مفترق أصابعي ، أهمسُ بصوت نملة ، أنني أحتاجك ، وأطير بجسد فراشة ، إلى أحضانك ، أتكلمُ بكبرياء ثعلب ، وبقلبِ أنثى ، ينمحي ثغري وآخرُ أطرافي ، أركض.. أركض لألحق بك ، لألحق لموعدكَ الذي انتشر بداخلي كالصدى ، أخوض في الليالي وفي كمانِ الأحزان ، أخوضُ بكلِ حدودي بكل ما صنعه لي الإله ، أسبقُ نفسي تطير روحي ويبقى جسدي معلقٌ بالهواء..
تذهبُ أنتَ بكل برود ، بكل شهقاتٍ تأكلني ، وبكل الصراخ الذي يفنى فوقَ حنجرتي..
تذهب ، مع خيطِ السرابِ مع ألحانِ الحقول ، تذهب وتأخذ معكَ كلَ أفراح العالم، **تذهب وتتركُ لي جثةَ الوداع، وطيف اللقاء!**

****

اسمُك في فمي عذاءٌ للربيع ، رحيلك في مصرعي ، عارٌ على الرجال ، عارٌ عليكَ يا أحمق ، فلماذا تختار هذا؟؟
وأنا في حجرتِ البؤس أحيا بعدك..

بعدَ ألفِ عامٍ حتى أتمكنُ من الإبحار في النسيان ، حتى أتخطى حدود ضحكتكَ فقط ، فيميلُ القارب نحو خطِّ الحنين ، أسقطُ منه ، أعود للغرق ، أعود لمجازفة الذكريات والأعوام
واللحظات ، أعودُ للموت ، أرجعُ ألفَ عامٍ للخلف أو ربما عشرين ألف ، أمضي على صراخ الأنين ، لأتمكن فقط من العودةِ إلى ركني ، فأرجع للخلف.. للخلف حيثُ العذاب والهوان ، للخلف حيثُ أشربُ دموعَ ضحكتني ، وأحرقُ أطرافَ أصابعي ، للخلف حيثُ أبتلعُ حجارك ، وأمشي على أشواكِ الأحلام ، للخلف حيثُ أنامُ مع رقرقةِ الظلام ، وأصوات عصافير الليل ، حيثُ سأبكي بكاءً تبكي عليه الأموات ، ويغصُّ عليه جيع من في السماء ، حتى أبكي وأبكي وأبكي ، أشهقُ من فوهةِ بركان ، وأزفُرُ كعواصفِ الزمان ، حتى ينتهي الأمر بي مرميةً على طرفِ الوعود..

وعدتني أن تأتي عندما يطلعُ القمر، أودُّ أخبارَكَ أنَّ القمر مات منتحراً بحبلِ ذكريات ، وأنتَ لم تأتي ، يا مجرماً قتلَ القمر قتلَ غصةَ عمري ودموع أحزاني ، يا مجرماً قتلَ روحي ورمى بجسدي إلى القروش..

أرى أيلول يبكي عليّ ، وديسمبرُ يحكي لأبنائه قصتي ، أرى سبتمبر واقفاً أمامك ، يودُّ أن ينتقم..

في حربنا
كانت كلُ البشر تقف معك
إلا الأشياء والشهور ، كانت معي ،
في حربنا الباردة ، كنتُ فقط الخيطَ الدافئ ، الخيطَ الباكي..
وأنا أخوضُ معركةً ضدك
أكتشفُ أنني هزمتُ منذ زمن ، ولا أعاركُ إلا نفسي ، أنا الذي أكون هزيما ،ً جندياً ضعيفاً لا يقوى على حملِ بندقية ، أعاركُ نفسي وأهزم أنا ، ولا أنتصر أنا الآخر..

****

فأنا لستُ سوى ميت..
لستُ سوى مركبةٍ راحت دون عودة ، في بحرٍ خائفٍ من ظلمات الليل ، ميتُ أنا يا عزيزي ، روحُ ترتدي لحن حزيناً ي آخر القافية..
فلستُ سوى حربٍ دامت لحكايات الأجداد
عبثاً جهودي ، في جفونكَ ميتة ، عبثاً حروفي في كفّيكَ أسيرة.
هذا هو يومي الأول أخطيه في طريق نسيانك ، قتلتُ كلَ ذكرياتك ، دفنتُ جُثث أعوامك ، جمعتُ أشلائك وألحانك ، عزفتُ أغنيةَ وداعكَ بأشرعةِ الفناء ، بحبالِ الأسى ، ودّعتُ جميعَ أطيافك ، لم تلمني روحك ولا حتى أنفاسك ، ذهبتُ

عنكَ وذهبت رياحي تغلقُ باب فؤادك وبحار عيني استعدّت للهطول ، أربعةُ أوراقٍ صفراء معطرةً بزهور الحرير ، ألقيتها لك ، ألقيتها لكَ وعلى روحي فرشتُ باقي الأوراق ، كانت كلها ميتة منذ عهدٍ بعيد ، كانت رسائلي لك ، تلقتُ أخر الأنفاس أخر الحياة ، كانت تودُّ فقط الوداع ، أو اللقاء أو الوداع مع اللقاء ، لكنها نامت ، نامت نوم مؤبد ، ما أجملَ نوم الرسائل دون أن ترسل موتُ الرسائل على عتباتِ البريد ، تغفو.. تنام في ضمير. أمسكتُ بها جميعها ودفنتها بينَ الزهور ، قبرٌ جماعيّ يتسعُ لكل الرسائل التي ماتت قبل أن ترسل إلى أصحابها ، مع دموعِ المساء ، وذكريات الليل ، مع حبٍّ كبير جداً ، لا تسعهُ كلُ الأرض.. دفنتكَ معها!

كانت شقوق الأرضِ تشفع لنا ، كان الظلمُ يحاولُ ليخرج أصوات الحزن من داخلنا ، كانت المواعد تغني بأعلى الأصوات ، كان لحن البؤسِ يحملُ الكلام ، كانت حربنا باردة ، رأيتُ فيها حكاياتٍ تتأرخ ، وطرقاتِ لا يدعسها أحد ، كانت الليالي صفراء ، والإيقاعُ أسود ، خسرتك وراح الموعدُ يعزفُ بعودِ السنين ، كان ما بيننا مجرد مسافات ، أما الآن فما بيننا ككلِ البحار

***

لو أنكَ حلمتَ بقصيدةٍ مُثمرة ،
أضعُها في فمِك كلّما صنعتَ بيديْك القاسية وعودًا مُجرِمة ،
مُخبّأةً خلفَ عتابي الأخير...
لو أنكَ بحثتَ في دفاترِكَ سنينًا ،
لو أنكَ بحثتَ في محادثاتِنا الأخيرة ،
لو أنكَ كَوَيْتَ أوجاعي ، لحرّرتَني منك!
لو أنكَ رَبَّيتَني على الشُّروق ،
لَما كانت موهبتي الغروب ،
لَما كنتُ شمسًا بحُجّة النهار...
لو كان حُبُّك نافعًا ،
لما كانت جولةُ الحُبّ على كتفَيْكَ معركة ،
"حُبّك كالذي يأكلُ من نفسه."
لو أنكَ نظرتَ نظرةَ المُهاجرِ قبل الرحيل ،
لرأيتَ الحزنَ يُقسّمني... يُقسّمني
قِسمًا للحروب ، قِسمًا للنُّدوب ، قِسمًا للنحيب ، وقِسمًا للبكاء...

لكن...
هل يأخذُ الحُبّ شكلَ سُيوفٍ في الخواصر ؟!
هل كنتَ معي في كلّ دمارٍ أبني فيه أحلامي ؟!

شاعرةٌ أنا ، أرى فيكَ كلَّ عُذرٍ في زحامِ أخطائِك!
الحقيقةُ يا جُرحَ أيّامي:
أنني أُحبّ الغباءَ عندما يتعلّق الأمرُ برحيلك ،
أُحبّ أن تَمنو الأوجاعُ كلّما اشتدّت الأحلام ،
فيأتي الواقعُ ليضربَني بفأسٍ من الفِراق ،
فأصحو!
ليَسكنَني اليقينُ بأنني (لم أُخلَق فيكَ لأحيا!)
لأرى نفسي ليلى في أحضانِ الذئبِ بحُجّةِ الدفءِ...
دَعكَ منّي!
فما شاءت الأقدارُ أن نَزهرَ سويًّا ،
فأصبحتَ شجرةَ البدايات ،
وعِشتَ البداياتِ حتى في النهايات ،

وأنا!...
بقيتُ زهرةً ذابلةً في مدينةٍ مات فيها السلام.

***

تَتَشابهُ الأيامُ في هَواك..
أُرسلُ صورَتِكَ لصَدرِ قَصيدةٍ
لن أقولُ انتهينا ..

فمازال اليومُ مُستمراً
في هواك.
لن أقولُ انتهينا
فمازال الصفصاف يحملِقُ
في واجهةِ المقاعد
فمازالتِ الشمسُ تَشرق وتَغرب
في هواك ..
لن أقول انتهينا
في الصرخات
في الذكريات
فمازالت أطيافنا تلتقي
في أركان الأغاني
وفي هواك
لن أقولُ انتهينا
فمازالت ذكراك ترافقني
كالخيال
كالتعب على الزوار
كالتعب في هواك ..
لن أقول انتهينا

فمازالت رجفة الأيادي
تلتقي في "الحلم"
وفي "هواك"
فمازال الحبر يرسمُ على
عنقِ المساء
فما زال الشقاءُ
يملئُ ثقوب الضحكات
فمازال النبعُ يحلمُ بالجفاف
وذوبان الشمس في صوت المياه
ومازلتُ في هواك!..
لن أقول انتهينا
فمازالت الأشياء تحلمُ طويلاً بالأشياء
ومازال صوتكَ يتردد في الشتاء
ومازالت عيناك
رصاصتان وبندقيتان
كاذبتان وصادقتان ..
فمازالت تحلمان..
لم ولن أقول انتهينا
فهناكَ مواعيداً أُخرى

تحتَ رحلات الطيور
تحتَ هواك ..
لن أقول انتهينا ..
هل انتهينا ؟؟!

***

لو أني لم أقف على باب قلبك
لكنتُ الآن في حبٍ وسلام ولذة من لأيام
لو أني لم أخشى ظلمة حبك لكنت في حياة بيضاء وشمس وضياء
لو أني بدأت بالنسيان منذ رحيلك
لنتهيت الآن
لو أني أعرف ما بقلبك
لما كنتُ غفرت لك وما كنت حاربتُ من أجلك الرغبات والأحلام
لو أني كنتُ معك
لما كنتُ الآن على قيد الأحزان !..

|عزيزي|
كيفَ لي أن أفهمَ خدوشكَ القمرية ،
ورُبع سيجارتك المُطفئة ،
كيف لي أن أفهم حاجبيك
المعقدوان على الجبين دائماً
وعيناك الفاتنتان القادرتان على قتلي ، ،
بأي طريقةٍ يمكنني أن أخوض فيها
بعدِّ حاضرك المكسور ،
وزِحامُكَ الخالي..
كيف لي أن أقول لك:
|يا حبيبي|
وأنت حبيبُ الأشجارِ
حبيب العصافير
حبيب الحصى
وحبيب الجروح
وأنت حبيب البحر ، ، وحبيب هويتي..

حبيبُ كل شيء ،
وأنا جزءٌ من كل شيء..
وأنت رجلٌ شرقي ،
ممزوجٌ بعبءِ الماضي ، ،
قد أتبادل معك الحديث ، ،
أو أطراف اليدين ،
لكنني لا أفهم داخلك
ولا خارجك ولا أفهم شيء فيك
سوى أنني أحبك ،
ولا أفهم ما شأن حبي..
برجل مثلك ، ،
برجلٍ أموت على سطور أوراقه
ولا يبالي..
برجلٍ ساذج لا يعلم كيفية الحب
أو كيف يُحب
برجل يدور حول نفسه
ولا يعلم لماذا يدور ، ،
إبرة واحدة تخرج من فمه ، ،
قادرةً على تدميري ، ،

عزيزي ..
طاقتي كوبٌ من الماء ،
في وسط صحراء شاسعة ،
ليست بحرا صعبٌ أن ينفد..
عزيزي..
أنت لا تشبه أحد..
تشبه قصصاً خرافية
وتشبه الأحلام الوردية
تشبهُ تَمزق روحي
وأمنياتي فيكَ
***
ها أنا ذي أحملها ،
أحلامي التي بنيتها
على ظلال لـ "رُبما "
لم أعرف ،
أن اللقاء خُرافة!
وأن الألحان التي كانت تواسيني
ليست إلا "كافرة"
لم أعرف ، ،

أن الخيال كذبة والحقيقة أكذب..
ها أنا ذي..
أشبهُ البساتين ،
التي تحمِلُ ما يوجِعَها..
أشبهُ ثقوب المنزلِ "في الطفولة"
أشبه كل شيء إلا "الإنسان"
***
لأن صورتك كانت
على خشبةِ المسرح ،
تحاربُ أصابعي ، وسجائري
وأنا المُبتلى ، الذي يجلسُ
تحت أقوال الأغاني ..
أمشي. أركض. أسقطُ وأنهض ..
أصرخ لأصل إليها ..
تختفي..
كان يمكن ألا تعود ، لكنها فعلت .
تأتي تهمسُ وتغني ..
أركضُ في النهر لأصل ،
؛أين النهر وأنا في السينما ؟!

أعود وأركض على رقّة النعناع
على كفوف الرياح
على بكاء المقاعد
أصل !
خطوتان إلى الأمام
"تختفي" !
أعود أنا ممزقةَ الأحلام
وضحية الذنوب
ورفيقة الأوهام
أعود ..
بخوفٍ وسلام ..
أجلس وحدي
كشجرةٍ مقطوعة
كمدينةٍ مهجورة
كفراشة مقصوصة
كنغمةٍ مَظلومة
أعود ..
" تعود صورتك ! "
يسارعُ الوحي لينقذني

" ليست إلا أحلام !! "
أتركُ القدر ، وأفلتُ القضاء
وألحقُ بك / "بصورتك "
أركض كالمجانين
كالذكريات في المنازل
يعلّمني التعبُ كيف أمشي به
ويمشي بي ..
أضحكُ وأبكي ..
أتمددُ قرب سياج الغياب
وأندبُ اللقاء
دمعتان تنطلقان لتضحكان
ينزف المساء شهيقاً وزفيراً
وحبرٌ جامد ..
نجمتان كالذئاب تأتيان
لتضحكان أيضاً ..
ما أشقاني !
بكاءٌ كثير بعينين صغيرتان
وموسيقى راقدة قرب البيت
وكلام مرسوم قرب البيت

أُمسية هذه بطعم الشقاء ..
"لن أصل "
لن نلتقي في هذا الفضاء
لن نلتقي في هذه السينما
" لن نلتقي فأنا هنا في غرفتي
وأنتَ في السماء ! "

الماءُ كذبةً قَديمة
عينيكَ وحدهما القادِرتانِ على إحيائي !
***
لم يعد يكفي..
أن تمشي خفياً كالأقدار
أن تختارك الرسائل سائحاً للأغاني
لم يعد يكفي أن تكون غريباً تجلسُ في الصحيفة ميتاً
أن تكون آخر قطرة في كأس الخمر ،

أن تكون صرير الأبواب المغلقة ،
والهواء الطلق
لم يعد يكفي ، أن تكون غريباً بدموع السماء ،
أن تكون غزالاً يكسرُ الزجاج ،
وأن تكون المفترق بين حركات الرقص
، لم يعد يكفي أن تسبِقَ الخريف لتحرر الأوراق ، أن تكون ثُمّلاً على الياسمينة ، أن تكون قطاراً لمحطةٍ منفية ، أن تحمل الفصول يوماً يوماً ، وأن ترفع شبحاً للسماء ، لم يعد يكفي أن تنسى كل الأسماء ، أن تسأل الشعر من هو ، بل أن تكون خطأً في كتاب الأنبياء ، أن تكون الخوف مع النجاة ، أن تكون مئذنةً وكنيسة ، أن تكون الأشياء كلها..
لم يعد يكفي أنت تكون شيء أن تكون أنت
فلا أحداً يراك ..

***

ضوء حزينٌ ينهرني
قصيدةً تُكتب..
وطيور ترثيني
نهرٌ على ضفتيه أرجوحة
تهتزُ بي ..

همساتُ تغفو في ليلة القدر
وهي تردد (لتنتصر هذه الديار)..
وأنا هنا ..
أمتدُّ بجسدٍ هزيل
على أجنحة فراشة
تحملني الأشجار
يمر عليّ الشريط ..
عندما كنا صغاراً
نحنُ الاثنان
نلعبُ بالدمى
ولا نخاف من الذئاب
نشتاقُ للركض ونحن عائدون
دون أقدام ..
يولدُ في كفّ كل منا
كاتبٌ
لنكون في هذه الحياة القمرية
التي تتزاحم فيها الأحلام
دون حالم ..
نقف أمام بئر الأمنياتِ

ونعود فارغين الأيدي ..
كالعائدين من حفلةِ رقصٍ ليلية
نكبتها..
دموعنا المُرة أو الحُلوة..
نبدّلُ الستائر الزرقاء
بصورٍ قديمة ..
هذه الحياة
ستبقى قمرية
ونحنُ الأحياء
سنبقى أمواتاً.
أيدينا الحرة ستبقى حرة
في هواءٍ وردي ..
يتقطع الشريط
ونعود لنختبئ
تحت خفضان صرخة !
ونعود لنختبئ
في جيوب الربيع..
وفي ذكريات الطفولة ..
وفي أوراق الجدران ..

***

لا أستطيعُ أن أكون
مسافراً خلفَ ظلال الفصول
أو أن أحملَ معي تعبَ النهاياتِ
ولذةَ البدايات
لا أستطيعُ أن أكون
طعماً للأشياء الخيالية
ولا أن أتأمل هذا الكمان
الذي لا يحكي..
تسألني المسافات:
كيفَ يرقدون الموتى تحت الظلمات ؟
لستُ القويّ الذي يجيبُها
ولا الذي يعلّمُ الأوراق
كيف تسقط حين تخونها الشجرة
ولا الذي يعلّمُ الماعز قلعَ الأقحوان
ولا الذي يصنعُ الطريق لرحلةِ الطيور ،
لا جناحانِ لي لأحلق بهما حول الأنهار.
فكيفَ للمنزل تَقبُلي ؟
لم أكن أسطورةً للنوافذ التي ماتت.

لم أصغي لأمي
حين علّمتني كيفَ للمرء أن يتخطى
وهو مسجونّ في فنجان قهوة ،
لم أصغي..
بل كنتُ أطعمُ الفراشات ..
وأقتلُ العناكب..
ولم أصغي لأبي
حين علّمني أن لا أنام تحت الشجرة
، وحين كان يمنعني من أكل الثلج في البستان..
لم أصغي لأحد
بل كنتُ أهمسُ للحقل أنه قبيح ،
وأن الحياة الريفية بشعة..
كنت أظن أنني أستطيع
الحصول على كل شيء
بمجرد البكاء عالياً..
الآن أبكي كل يوم ولا أحصلُ على نملة!
الآن
عالقة بين شباك الأبجدية
ولا أريدُ الفرار

أغفو هنا في زجاجة الزنجبيل..
وفي خاطرةٍ عابرة
وفي ساعةٍ رملية.

***

سأكون نهراً للملائِكة
وقبراً للأغاني المنسيةِ
في أوتار المقهى
سأكون حلوى للأطفال
وطريقاً هزيلاً في صدى السجائر
سأكون ختاماً لحديث النساء
ونهايةً للأبد
أريدُ أن أكون الغائب والحاضر
والمتكلم والمستمع
قصيدةً سعيدة
وموعداً لزفاف الطيور
أريدُ أن أكون
جزوراً لشجرة البرتقال
وأوراقاً لشجرةِ الصفصاف
وكنيسة لأسراب الحمام

أريدُ أن أكون جسراً بين البحرين
وأجنحةً للغزلان
ولقاءً لليل مع النهار
ومصابيحاً للخفافيش والبومات..
ونوافذ خضراء
حمراء
صفراء
أريد أن أكون كأبي
كأمي
كأخي الصغير
أريدُ أن أكون غيماً
يدعو الناس على العشاء
وموتُ لازوردي
يُرغبُ الناس..
أريدُ أن أكون الخيزران
والسور الذي يستر الأحزان
أريدُ أن أكون
كذوبان الضحكات عند الشتاء
أريدُ أن أكون

كُل
شيء!

***

يخبرني أنني ستائره
ثمّ يحرقني بالشموع
بحجةِ العتمة!

يا ليلتي
إني أنامُ ثقيلاً كظلِ الأكاذيب
أرجعُ للحرية في السجون
لا أنبتُ من قُبلةٍ مبللة
لا أستيقظُ على صوتٍ
نسميه وحيٌ من الخيال
طفيفٌ أتكسر من الدخان
أختفي كقصيدةٍ مائية
ويبقى ضوئي في الخيوط
يا ليلتي
أقيمي مراسم العزاء
وارثيني !

***

ها نحنُ عصافيرٌ خضراء
كما الزيتون
قَصيدتانِ مُتوازيتانِ لا نلتقي..
ها نحنُ صوتان

يرقصان على ثقوب الناي
ولا نلتقي ..
بيتانِ مهجوران
يدخل منا الحمام ويخرج حراً..
الغيابُ صحفٌ لا تُنسى
على عكسنا حين نبكي..
تعال يا صاحبي معي
فنحن مختلفان تماماً
تعالَ نبني موعدنا على سفوح
الممرات الزرقاء بين الأنهار
تعالَ في مساءِ اللغات
نركب القطار
لنصلَ إلى أسمائنا
أو إلى منازلنا الخيالية
نمشي
نهرول
نصرخ
نُخلقُ في رحمِ الملائكة
نَتحررُ من موتِ الطفولة

فالحياة هي الفخُ لنا
لنعيشَ في برزخ الأيام
والحبُّ يُخلقُ بينَ أضلعنا
أمزحُ يا صاحبي
لا للحبِّ هناك
فالحبُ نوعٌ من العذاب
في السجون..
***
سَنلتقي
هنا بينَ أطرافِ الأمس
أو تحتَ نشيدِ المقهى
سنلتقي
هنا في المحطةِ الأولى
بينَ سنابلِ القمح
في ثقوبِ الأزهار
بينَ غدير الرحيل
وغناء الوداع
لا أُريدُ لهذا اللقاء أن ينتهي
ولا أن يكون صدفةً

في رحلتي
سنلتقي ..
في طريقنا إلى السينما
أو في طريقنا إلى الجدة
أو في طريقنا إلينا..
سنلتقي..
هنا بينَ شظايا الضواحي
بالأقدار خلفَ السماء
بينَ أزهارِ النرجس
وبينَ وبين....
سنلتقي الآن أو بعدَ رُبعِ ساعة
غداً أو بعد غد ..

***

أنا لستُ امرأةً ضيقة
ولا عيوناً مُقفلة
ولا مناخاً جيداً لزرعِ الحبّ
لستُ جناحاً تأوي إليه
لستُ كما تُريدُ الرجال

أنا شجرةً منعزلة
عن (سلعات) البساتين
أقصد بها النساء
أشكِلُ لوحدي حديقةً محترقة
من شجرةٍ واحدة

فالحذر مني يا فتى!
***
(قوافِلُ الياسمين!)
على جناحِ الهوى..
تمشي قوافِلُ الياسمين
تُغَردُ بأنشودة الصباح
وتُغردُ بحروفك الثلاثة
تُقيمُ عرساً للحلم معك
وحفلةً للرقص معك ..
على أهدابِ الاشتياق
تمشي قوافِلُ الياسمين
تذكرُ اسمك على مدائن الحنين
تغسِلُ وجهكَ بستائر بيتي

وبنوافذ غُرفتي المُشرّعة
تَأخُذكَ مع شموع أصابعي
وتغرُزك بينَ جُدراني..
تُمشي قوافِلُ الياسمين
وَتَرميكَ على مَوسم الحبّ
تَجعلُكَ منسيّاً بينَ أغصانِ قلبي
بينَ عشقِ الليالي
وهجران النهار
بينَ دفاتري وأوراقي
بينَ كلماتي وأبجدية روحي ..
تَمدُّ السماء عنقها وتنادي
تمدُّ النجوم ذراعها لتحتضن
وأنا... آهٍ من أنا..
أجلسُ على قارعة الطريق
أنتظرُ خُروجكَ مني
خروج روحكَ من جسدي
خروج قوافلك الياسمينية
وخروج ألحانك من مسمعي
أتكورُ على دموعي

أحتضِنُكَ في داخلي
وأحتضنُ قوافلك
والضوء الحزين
والشموع الساخرة
والطيور والحمام
وأخبار السلام
أتركك عالقٌ بينَ خيوطي
وبينَ الغبار في حروفي
معَ السنابل الدافئة
ومع قَوافِلُكَ الياسَمينية!!

***

عندما قُلتُ لكَ أني "أحبُك"
كُنتُ أعلمُ أنني أبني مدينةً مليئةً بالأضواء
لأُناسٍ لا تُبصر!

أفقدُ الشهيةَ في سجائري
وأحملُ على عاتقي أحلامي
أنزعُ منك وجهَ الحبِّ

وأندبُ عمري وحيائي
أسوحُ فيَّ لأعلمَ بأيِّ أرضٍ أتوه
فلا أجدُ إلا البيداءَ تلاحقني
وطيفُكَ يؤنسني
أركضُ وراءَ دموعي العارية
وأسقطُ في بركةٍ منها عاهرة
ألملمُ أجزائي مِن شوارعِ كفَّيك
وأحرقُها في مرفأِ عينيك
صوتُكَ اللئيمُ يمنعني
وعيناكَ الكاذبتانِ تبكيان
أعودُ لألملم أجزائي وأندبَ أطرافي
وأفقدُ فيكَ أشيائي
يا ظالمًا ، يا سارقًا ، يا قاطعًا للحبِّ
أعدْ إليَّ أشيائي
واحرِقْ أجزائي
وامنعْ صوتَكَ من التدخُّلِ في أعصابي
يا محبًّا للخراب
يا كارهًا للسلام
أعدْ إليَّ أشيائي

وانصرفْ من ديارِ أحلامي
فلا أنتَ من قبيلتي
ولا دخلتَ يومًا فؤادي
احتشدَ دخانُكَ من بينِ أسناني
وخُذْ شوقَكَ من أمامي
وابكِ كالأطفالِ في همساتي
واقطَعْ يديكَ الرخيصتين
اللَّتين تلتفَّان حولَ أشجاني
واذهبْ
دونَ
وداعٍ.

***

ماذا سَيفعلُ نور وجهك في دياري ؟
ماذا سيصلحُ في خرابي ؟
كيف سيعودُ الرمادُ إنسانًا ؟

***

تَخْتَفِي في حَدَسِي الرَّغَبَاتُ ،
بِأَنْ أُطفئ بِأَنْفَاسِ البَحْرَيْنِ ،
أَوْ أَنْ أَشْتَعِلَ مَعَ شَمْعَةِ الدِّيَارِ.
أَخْلَعُ عَنِّي رِدَاءَ الذِّكْرَيَاتِ وَلَذَّةَ الأَوْهَامِ ،
وَأَطِيرُ فِي هَذَا الخَرَابِ.
تَتَطَايَرُ نِيرَانُ الشَّوْقِ وَرُوحُ الجَفَاءِ ،
وَتَلْتَهِبُ الأَحْلَامُ حَوْلَنَا ،
وَتَفْقِدُ وَجْهَ النَّقَاءِ ،
وَنَفْقِدُ نَحْنُ الحَيَاءَ.
تَأْخُذُنَي النِّيرَانُ بِأَحْضَانِهَا ،
وَأَغفو فِي حُبٍّ وَعَذَابٍ ،
سَلَامٌ مَمْزُوجٌ بِلَذَّةِ البُكَاءِ!

***

زَرعتُ في حائطي غيماتٌ وقُبلات
وسَقيتُ الُحزنَ كأس السم
وأخبأتُ في جيوبي أكفانَ النجمات
وحَضرتُ السَجائر والكعكات
وجَلستُ أحصي الساعات
أنتظرُ زيارتكَ والفرحات

بكيت
وحلمت
واستيقظت..

***

غِيابُكَ لَعنة
وَحُضورك لعنَتان
أنت السَمُّ الذي
يُنبِتُ للأحلامِ
أحلامْ !

***

حينَ حُكم على حبّنا بالإعدام
لم يُدافع ولم يلقي إليه حبلَ النجاة
عرفتُ حينها أنه ظِلٌ لِرجل
والظِلُ لا يملكُ فماً ولا يملكُ حياة !

***

البُكاءُ لَيسَ إلّا
نوافذ أغلَقناها سابقاً

خوفاً مِن بُرودةِ الكَلام !

***

لَم تُشجِّعْني عَيْنايَ
حينَ نَظرتُ إلى أَحلامي مِن بعيدٍ ،
ولم تَقُدْني قَدَمايَ إليها ،
ولم يَجْرُؤْ قَلبي الجَبانُ على الحُلْمِ بها ،
ولم يَفتَحْ فَمي بابًا لِلدِّفاعِ عنها.
كُنَّا جَميعَنا نَنْظُرُ إليها بِلَهْفَةٍ مُبْهَمة ،
كُنَّا جَميعَنا مَسجُونينَ في كَلِمةِ "لا".

***

تَفضَحُني عَيناي
حينَ أراك
وتَخونني رُكبتاي
وقلبي الشقيُّ
يتركني أخوضُ
حرباً أهلية
مع رَجفةِ يَداي.

***

دَعوا خيوطَ الفجرِ
تنقشُ على الجدرانِ
ودَعوا الأحلامَ تُصفِّقُ
لِتُراقصَ الأغصانَ
ودَعوا اليومَ يمرُّ
ولا تملأوا جيوبَهُ بالبكاءِ
دعوني أُخلَقُ في رحمِ عصفورةٍ
في جنَّةٍ مفقودةٍ
ودَعوا الأشياءَ تكونُ كالأشياءِ
ودَعوا القصيدةَ تكتبُ
في مرفأِ الفراقِ
والذكرياتُ تكبرُ
في منزلِ الجداتِ
"لا تكونوا مجتمعًا شرقيًّا متحجّرًا"
دَعوا كلَّ شيءٍ
(ودَعوني وشأني)

***

لم أعد استمعُ إلى أغَانيك المُفضلة

لم أعد أستيقظُ في الثالثة ليلا لتفقدِ رسائلك ؛ لم تعد تسكنني
تلكَ الرجفةُ عند الحديثِ عنك ،
لم تَعد كما كنت
لم أعد كما كُنت
كلٌ ذهبَ في طريقٍ مُعاكس
وآمل أن تكَون الأرض مُسطحة
لكيلا نلتقي مَرة أُخرى في الجانب الآخر..
***

قيلَ للرحيلِ في حضرة الوداع:
امشي في الطريق
كعجوز يهمسُ للراحلين
"الآن العودة في السماء كالشمس
أما غداً فلن تشرقون"
***

عَظيمةٌ أنتِ ؛
تَبنِينَ فَوقَ الجُروحِ مَنازلاً !
***

من يَغسلُ الأركان بعد عاصفة البكاء
ومن يعصرُ الأحلام بعد ليلة زفافه
ومن يكسر المصابيحَ الفَجرية
ومن يمزقُ جروحَ الأمل تمزيقاً
ومن يُخذلُ في الثانيةِ ألفاً
من يستطيع أن يَحلّ مكاني !!

***

أنتظرُ اللقاء
وأحملهُ في ملامحيَّ المُشرّدة
وأمشي بهِ الدرب كُلّه
متظاهرينَ بالعافية
كدموع السِيوفِ العائدة
وكحماماتِ السلامِ الميتةَ
أترنحُ معه بينَ كذبةٍ تدعونا للعشَاء
وحقيقةٍ تَرمِنا في البيداء
ولأننا قاومنَا الوَداع
ولأننا لم نكسُر الأَحلام
ورَضينا بالخَيال

تركني ذاكَ بملامحيّ المشردة
وبجروحيّ المُبهمةَ
ورحلَ حاملاً للقاء
***
تَظنّهُ مِنفَضةَ سَجائرك ؛
لَكنّه قَلبي !
***
قد تَحتويني أحلامُكَ يومًا ، وتَشتاقُ لِرِحلاتِنا معًا ، وتأتيني بألفِ ذِراعٍ تَخرُجُ منك حاملةً لأعذارَك
لَكن فِي المَنام !
***

أتعرفون حزن النوافذ
وبكاء السنونو في أقفاص أيار
أتعرفون دموع الشتاء في آواخر نسيان
وصهيل الكمان
كانوا هُنا داخلي !
***

لا تَقل لي اتبَعيني
أنا في طريقي وأنتِ تشقينَ بينَ الأزمانِ طريقاً
أنا في طريقي ، وأنتِ ترافقينَ أشباهي الأربعين خوفاً
أنا في طريقي ، وأنتِ شاعرةٌ غبية تصنعينَ من لحبر أحلاماً وردية.
لا تقلها لي !
فأنا سفينتي محطمة
شراعي سرقته عصافير فيروز
بحري مقّطعٌ ممزق
موعدي غَابَ حلفَ سمفونيةٌ مُجرّحة
رصيفي أكلته أوراق نيسان
لا تقلها لي فصباحي فجرٌ بارد ، أتلفته جروح المساء
وزماني يابسٌ مسجونٌ في وعدٍ كاذب
وأشباهك الأربعين لم يكونوا إلا أقفاصاً لأحلامي !

***

هذا الذي انتهيتُ به
حلمُ بين سرابِ الدمُوع يَطير
لا أنا أَعرفه.. ولا هو حلمي
أضيعُ مثله تماماً

ونقعُ مئات المَرات
حزناً كيسوفٍ كُسِرت
موتاً كريشِ الحمام
مدفونينِ في القارورة
مزروعين في عنق السلام
حُلمانِ بين كفوف الخيال
خُرافتان بين كفوف الحياة
تطيران عالياً
بلا خوفٍ بلا أمان
بلا أجنحةُ بلا أقدام
في مدائن الأحزان
في بحارٍ بلا شطئآن

***

{تمت بعون الله مع كامل الحبّ}